الفصل الثاني
أسفار الديانة المسيحية

سنمهد لموضوع هذا الفصل بفقرتين: نعرض في أولاهما لمن يطلق عليهم اسم «الحواريين» أو «الرسل» Les Apôtres وهم الذين ينسب إليهم قسم كبير من أسفار «العهد الجديد» وهي الأسفار المقدسة عند المسيحيين؛ وفي الثانية لمن يطلق عليهم اسم التلاميذ Les Disciples والتابعين، وهم الذين يلون الحواريين في منزلتهم، وإليهم ينسب كذلك بعض أسفار العهد الجديد.

ثم نقف الفقرات التالية على التعريف بهذه الأسفار، مع تحقيقات تتعلق بتأليفها، وتاريخه، واللغات التي ألفت بها والتي ترجمت إليها، وما تشتمل عليه من عقيدة وشريعة وقصص، ومبلغ الصحة في نسبتها إلى أصحابها، والأسفار الأخرى غير المعتمدة عند المسيحيين، والفرق المسيحية وما بينها من خلاف، وصلة ذلك بالأسفار، وموقف الإسلام من جميع هذه الأمور.

الحواريون أو الرسل Les Apôtres

بحسب ما ترويه أسفار الديانة المسيحية

تروي أسفار الديانة المسيحية بشأن الحواريين ما يلي:

اختار المسيح من بين السابقين الأولين من أتباعه ومن أكثرهم ملازمة له اثني عشر رجلاً كلفهم تبليغ رسالته إلى الخلق، ومن ثم أطلق عليهم اسم الرسل Les Apôtres، وهم: بطرس كبير الحواريين وأخوه أندراوس ويوحنا وأخوه يعقوب الكبير بنا زبدى ويعقوب الصغير بن حلفى وأخوه يهوذا ومتى وتوماس وفيليبس وبرثولماوس وسمعان النشيط أو الغيور ويهوذا الأسخريوطي.

Pierre et so frère André, Jean et son frère Jacques le majeur fils de Zébédée, Jacques le mileur fils d'Alphée et son frère Jude, Mathieu, Thomas, Phillipe, Barthélemy, Simon le zélé, Juda l'Iscariote.

وقد ظل هؤلاء مخلصين لرسالتهم، صادقين ما عاهدوا المسيح عليه، ما عدا يهوذا الأسخريوطيّ فإنه قد خان المسيح وأرشد الفريسيّين والرومان إلى مقره وسهل لهم صلبه وتقاضى منهم أجراً على ذلك، وقد جُوزي على فعلته هذه بأن مات شر ميتة ونشر دمه ونشرت أمعاؤه في مساحة واسعة من الأرض سميت لذلك «حقل الدماء».

وحينئذ اجتمع نحو مائة وعشرين من كبار المسيحيين تحت رياسة بطرس كبير الحواريين ووقع اختيارهم على اثنين يكمل أحدهما عدة الحواريين الاثني عشر وهما يوسف برساباس الملقب جوستوس وميتاس Barsabbas Appelé Justus et Mathias ثم ضربوا القرعة بينهما فخرج سهم ميتاس، فاختير حوارياً مكملاً للإثني عشر بدلاً من الخائن يهوذا الأسخريوطي[1].

وقد ظهر المسيح بعد صلبه وقيامته ورفعه إلى السماء، ظهر في عمود من نور لرجل يهودي كان من ألد أعداء المسيحية وأشدهم حرباً عليها وعلى أهلها، فهداه الصراط المستقيم، وكلفه تبليغ رسالته إلى الأمم وهدايتهم إلى المسيحية، ومن ثم أطلق عليه حواريٌّ

---

(1) انظر «أعمال الرسل» للوقا 15 ـ 6 من الإصحاح الأول.

المسيح ورسوله إلى الكفار Apôtre des Gentiles[1]، وأصبح من ذلك الحين من أشد أنصار المسيحية ومن أكبر دعاتها، وأصبح له في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها شأن لم يصل إلى مثله كثير من الحواريين الأولين أنفسهم: ذلك هو الرسول بولس Saint Oaul.

ومن بين هؤلاء الرسل ستة تنسب إليهم أسفار في العهد الجديد، وهم بطرس ويوحنا ومتى ويعقوب الصغير وأخوه يهوذا وبولس. فهم وحدهم، من بين جميع الحواريين، الذين يتصلون بموضوع دراستنا. ولذلك سنقدم لكل منهم فيما يلي ترجمة موجزة حسب ما ترويه أسفار المسيحيين:

1 ـ **بطرس Pierre**: كان اسمه الأصلي سمعان Simon، وكانت مهنته صيد الأسماك. وقد دعاه المسيح لمتابعته فآمن به. وسماه المسيح «كيفا» Kepha (وهي كلمة آرامية تدل في هذه اللغة التي كانت لغة الحديث والكتابة في فلسطين في عهد المسيح على معنى الحجر أو الصخرة) وقال له أنت الصخرة التي سأبني عليها كنيستي، ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللغة وهي «بطرس» Petrus وهو رئيس الحواريين جميعاً وأشدهم ملازمة للمسيح.

وقد وقف جهودهُ على التبشير بالمسيحية في عهد المسيح ومن بعده في كثير من البلاد، فذهب إلى أنطاكية Antioche وغيرها، وانتهى به المطاف في روما حيث قبض عليه وزج به في السجن وحكم عليه بالإعدام صلباً سنة 67 على الأرجح في زمن نيرون Néron إمبراطور الدولة الرومانية. وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لا يتشبه بالمسيح. ـ وإليه يرجع أكبر قسط من الفضل في نشر المسيحية في الدولة الرومانية. وهو الذي أنشأ كنيسة روما التي يتولَّى رياستها بابوات الكنيسة الكاثوليكية، وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس، ولذلك تسمى كنيستهم الكنيسة البطرسية. وإليه تنسب رسالتان من الرسائل السبع التي يسمونها «الرسائل الكاثوليكية» وهي إحدى مجموعات «العهد الجديد»، وسنتكلم عليها في الفقرة الثامنة من هذا الفصل. وينسب إليه كذلك أنه أشرف على تدوين إنجيل مرقس، وهو أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين والتي سنتكلم

(1) انظر الإصحاح التاسع من أعمال الرسل للوقا.

عليها في الفقرة الرابعة من هذا الفصل، بل إن بعض المؤرخين ليذهب إلى أنه هو الذي ألف هذا الإنجيل ونسبه إلى تلميذه مرقص كما سيأتي بيان ذلك.

2 ـ **يوحنا Jean**: هو كذلك من كبار الحواريين الاثني عشر، وكان أبوه زبدي Zébédée من السابقين الأولين إلى المسيحية ومن كبار دعاتها، وكانت أمه سالومي Salome قديسة شهيرة ورد ذكرها في الأناجيل، وهي قريبة السيدة مريم أم المسيح، وقد جاءت من زبدي بيوحنا وأخيه يعقوب الكبير Jacques le majeur.

ويقول التاريخ المسيحي إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين لمّا قدمتهما إليه سالومي، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر وباركهما.

وتقول كذلك: إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه، ومن ثم يطلق عليه اسم الحواري الحبيب L'Apôtre bien-aime حتى لقد استودعه المسيح أمه السيدة مريم وهو فوق الصليب. وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس، ووقف جهوده بعد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة لها. وتُوفي بين سنتي 98 و100 بعد الميلاد. وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، وهو آخرها تأليفاً، وأربعة أسفار أخرى من أسفار العهد الجديد، وهي ثلاثة رسائل من الرسائل الكاثوليكية والسفر النبوي أو رؤيا يوحنا، كما سنبين ذلك في الفقرتين الرابعة والثامنة من هذا الفصل. ـ أما أخوه يعقوب الكبير فهو كذلك من الحواريين الاثني عشر، ولكن لا ينسب إليه أي سفر في العهد الجديد، وقد استشهد سنة 44 ميلادية على الأرجح.

3 ـ **متّى Mathieu**: وهو كذلك أحد الحواريين الاثني عشر. وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين. وكان اليهود يزدرون الجباة ويزدرون مهنتهم لما كانت تنطوي عليه من أعمال الظلم والعنف، ولأنهم كانوا مسخرين للدولة الرومانية التي تستعمر البلاد وتسوم أهلها سوء العذاب، وكانوا يسمونهم «العشارين» لأنهم كانوا في الغالب يأخذون عشر المحاصيل وغيرها ضريبة لبيت المال. وقد اختاره المسيح تلميذاً له. فقد جاء في الإصحاح التاسع من إنجيل متى: «وبينما كان يسوع سائراً رأى شخصاً جالساً عند مكان الجباية اسمه

متى، فقال له اتبعني فقام واتبعه، وبينما هو متكئ في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرة قد جاؤوا وجلسوا مع يسوع وتلميذه. فلما رأى ذلك الفريسيون (فرقة من اليهود تقدم ذكرها في الفقرة الثالثة عشرة من الفصل السابق) قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة، فلما سمع قولهم يسوع قال لهم: إن المرضى هم الذين يحتاجون إلى الطبيب لا الأصحاء، وإنني لم آتِ لأدعو أبراراً بل لأدعو خطاة إلى التوبة»[1].

وبعد صلب المسيح أخذ متى يدعو إلى المسيحية مطوفاً في كثير من البلاد ثم استقر في الحبشة وقضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعياً إلى ديانته، ومات بها سنة 70 على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، أو على أثر طعنة برمح أصيب بها سنة 62 في رواية أخرى،وإلَيْه ينسب إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، وهو أقدم هذه الأناجيل جميعاً كما سيأتي بيان ذلك في الفقرة الرابعة من هذا الفصل[2]، وينسب إليه كذلك إنجيل آخر من الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين كما سيأتي بيان ذلك في الفقرة السابعة من هذا الفصل[3].

4 ـ **يعقوب الصغير ابن حلفى Saint Jacques le mineur fils d'Alphée:** (وقد لقب **بالصغير** للتمييز بينه وبين **يعقوب** بن زبدي أخي يوحنا الذي لقب بيعقوب الكبير). وهو كذلك أحد الحواريين الاثني عشر، وهو من أقرباء المسيح. وكان ممن اجتباهم المسيح نفسه واختارهم لنشر رسالته، ولم يلبث أن أصبح من أكبر الدعاة إلى المسيحية في حياة المسيح، ومن بعده وخاصَّةً في بلاد فلسطين ويعتبره التاريخ المسيحيّ أول أسقف لأورشليم (بيت المقدس) وقد استشهد حوالي سنة 62 بعد الميلاد بأورشليم حيث حكم عليه بالإعدام رجماً.

وينسب إليه التاريخ المسيحي تعديلاً هاماً أدخل في الشريعة المسيحية في مجمع أورشليم الذي انعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة. وذلك أن المسيحيين الأولين كانوا يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبته أسفار العهد القديم ويحرمون على

---

(1) فقرات 9 ـ 13 من الإصحاح التاسع من إنجيل متى.

(2) الفصل الثاني: الأناجيل الأربعة ـ الفقرة (4).

(3) الفصل الثاني: الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيّين ـ الفقرة السابعة (7).

أنفسهم جميع ما حرمته، أي يعتبرون شريعة موسى شريعة لهم ويعتبرون أسفارها أسفاراً مقدسة ولا يستثنون من ذلك إلاَّ ما صرّح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله. واستمر المسيحيون على ذلك إلى أن انعقد مجمع أورشليم بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين وسنة وكان هذا أول مجمع يعقدُ بعد المسيح للنظر في الشريعة. وقد اجتمع فيه الحواريون والتلاميذ وكثير من السابقين الأولين إلى المسيحية. فتقدم يعقوب الصغير إلى المجتمعين باقتراح يقضي بعدم وجوب الختان الذي أوجبته التوراة على كل ذكر لأن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى المسيحية فيرغبون عنها بسببه، وبالاقتصار على تحريم ثلاثة أشياء من المأكولات التي حرمتها التوراة وهي الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان وإحلال ما عدا ذلك تيسيراً على الناس. ويدخل في باب الحل لحم الخنزير نفسه الذي حرمته أسفار العهد القديم. ودافع يعقوب عن وجهة نظره دفاعاً قوياً، فأقر الحواريون والحاضرون اقتراحه بجميع محتوياته[1].

5 ـ يهوذا **Saint Jude**: ويسمى كذلك ثدى Thaddée ولبى Lebée وهو أخو يعقوب الصغير من أقرباء المسيح، وهو كأخيه أحد الحواريين الاثني عشر. وكان من دعاة المسيحية في حياة المسيح ومن بعده. واستشهد في ميزوبوتاميا (العراق) حيث كان يدعو إلى المسيحية في وديان دجلة والفرات. وتنسب إليه رسالة من الرسائل الكاثوليكية السبع، وهي إحدى رسائل العهد الجديد التي سنتكلم عليها في الفقرة الثامنة من هذا الفصل.

6 ـ بولس **Saint Paul**: كان يهودياً من الفريسيين على أرجح الأقوال وكان اسمه شاول Saul. وكان من ألد أعداء المسيحية في عهد المسيح ومن بعده ومن أشدهم حرباً عليها وعلى أهلها. فكان يسطو على معابد المسيحيين ويقتحم بيوتهم ويغير عليهم في الطرقات، فيقتل منهم من يقتل، ويعذب من يعذب، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجون وساحات التعذيب. ـ وبينما هو سائر في طريقه إلى دمشق ظهر له المسيح في عمود من نور، وكان ذلك بعد صلبه ورفعه، فهداه الصراط المستقيم، وكلفه تبليغ رسالته إلى الأمم وهدايتهم إلى المسيحية، ومن ثم أطلق عليه اسم

---

(1) انظر الإصحاح 15 من سفر «أعمال الرسل» للوقا.

«حواري المسيح إلى الأمم الكافرة Apôtre des Gentilles». ــ وعندما ذهب إلى الحواريين بعد ذلك أوجسوا خيفة منه، وظنوا أنه يتظاهر بالإيمان للمكر بهم وتدبير الكيد لهم، ولكن «برنابا» Barnabé (الذي سنترجم له في الفقرة التالية) شهد أمامهم بصحة إيمانه وقص عليهم قصة هدايته وظهور المسيح له، فاطمأنوا إليه، وأنزلوه منهم منزلة كبيرة وانقلب من ألد أعداء المسيحية إلى أكبر دعاتِها والمنافحين عنها، وأخذ يطوف في مختلف البلاد عاملاً على نشرها وإدخال الناس في دينها واصطحب معه «برنابا» في رحلاته الأولى، ثم اختلفا بعد ذلك فافترقا. وظل سائراً على منهجه ينشئ الكنائس، ويلقي الخطب، ويؤلف الرسائل في المسيحية وعقائدها وشرائعها وأخلاقها، حتى قتل في اضطهادات نيرون سنة 66 أو 67م[1].

وينسب إلى بولس أربعة عشر سفراً من أسفار العهد الجديد تسمى «رسائل بولس» على ما سنذكره مفصلاً في الفقرة الثامنة من هذا الفصل.

وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس في تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها أكبر شأن، حتى إن المسيحية الحاضرة لتنسب إليه أكثر مما تنسب إلى غيره وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله، وحتى إن كلمة «الرسول» إذا أطلقت لا يراد بها في اصطلاحهم إلا بولس، وكما يطلقون عليه كذلك لقب «الرسول الكبير le Grand Apôtre»[2].

---

(1) انظر الإصحاحات الثامن والتاسع والثالث عشر والرابع عشر من سفر «أعمال الرسل» للوقا.

(2) أصبح بولس أهم شخصية في عقيدة المسيحيين حتى إنَّ رسائله تعتبر أهم مما جاء به المسيح عليه السلام وباعتبار بولس راح يبشر بالمسيحية في أوروبا فقد أوجد تشريعات جديدة تخالف ما جاء به المسيح عليه السلام. منها إلغاء الختان وتحليل أكل لحم الخنزير، بحجة أن هؤلاء من الوثنيين ويجب التساهل معهم، بل ويذهب بعضهم إلى أن بولس كان قد رُتب من قبل المجلس اليهودي الأعلى ليحرف المسيحيّة عن عقيدة التوحيد. فهو أول من نادى بألوهية المسيح والتثليث.

التلاميذ والتابعون

بحسب ما ترويه أسفار الديانة المسيحية

تروي أسفار الديانة المسيحية بشأن التلاميذ والتابعين ما يلي:

اختار المسيح من بين أتباعه والملازمين لصحبته والاستماع إليه بجانب الاثني عشر حوارياً السابق ذكرهم، وهم الذين كانت لهم أكبر منزلة في المسيحية، سبعين رجلاً كلفهم التبشير بالمسيحية في قرى الجليل، وأطلق على هؤلاء اسم «التلاميذ».

وبجانب الرسل والتلاميذ يحفظ لنا التاريخ المسيحي أسماء جماعة لم يصاحبوا المسيح نفسه، ولكن صاحبوا بعض رسله أو بعض تلاميذه وأخذوا عنهم، وكان لهم أثر ذو بال في المسيحية. ومن الممكن أن نطلق على هؤلاء اسم «التابعين» جرياً على الاصطلاح الإسلامي الذي يطلق هذا الوصف على من لم يصاحب الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ولكن أخذ عن بعض صحابته.

ومن بين التلاميذ اثنان تنسب إليهما بعض أسفار في الديانة المسيحية وهما «برنابا» و«ومرقص»، ومن بين التابعين واحد تنسب إليه كذلك بعض هذه الأسفار وهو «لوقا». فهؤلاء الثلاثة وحدهم، من بين جميع التلاميذ والتابعين، هم الذين يتصلون بموضوع دراستنا. ولذلك سنقدم لكل منهم فيما يلي ترجمة موجزة حسب ما ترويه أسفار المسيحيين:

1 - برنابا **Saint Barnabé**[1]: كان يهودياً من اللاويين، وكان اسمه يوسف، وقد سماه الحواريون «برنابا» ومعنى هذه الكلمة «ابن الوعظ». وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح. وقد باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة إلى المسيحية ومساعدة فقراء المسيحيين. وهو الذي ضمن بولس أمام الحواريين وشهد بصحة إيمانه وقص عليهم هدايته وظهور المسيح له كما تقدم بيان ذلك. وقد كلفه الحواريون عدة مهام تتعلق بالتبشير وتنظيم المجتمعات

---

(1) يروي برنابا في إنجيله أنه رافق السيد المسيح ولم يكن من التلاميذ التابعين بل من التلاميذ الأساسيين الذين أخذوا عن المسيح مباشرة.

المسيحية الأولى فقام وحده بما عهد إليه به خير قيام. ثم اصطحب بولس بعد ذلك وعَمِلا معاً على تبليغ رسالة المسيح إلى الكفار وهدايتهم إلى المسيحية واصطحبا معهما مرقص ابن أخت برنابا (وسنترجم له في الفقرة التالية) فطوّفا معاً لهذه الغاية في كثير من البلاد ومنها أنطاكية وقبرص. وقد نجحا في رسالتهما أيما نجاح وظهر على أيديهما معجزات كثيرة، وبلغا في نفوس أتباعهما منزلة كبيرة، حتى لقد افتُتن بهما أهل قبرص واعتقد الكثير منهم أنهما إلهان. ولما بلغهما ذلك مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمهور صارخين متبرئين مما وصفا به، فرجع الناس عن ضلالهم. ثم اختلف برنابا مع بولس فافترقا[1]، ورجع برنابا في هذه المرة مع ابن أخته مرقص ليكمل ما بدأ عمله في هذه البلاد مع بولس[2].

وينسب لبرنابا إنجيل وسفر في تاريخ الحواريين والتلاميذ يسمى «أعمال الرسل». ولا تعترف الكنائس المسيحية الحاضرة بصحة هذا الإنجيل ولا هذا السفر ولا بصحة ما جاء فيهما ولا بصحة نسبتهما إلى برنابا، بل تذهب إلى أنهما مزيفان وأن ملفقيهما قد ألصقوهما ببرنابا ليروّجوهما. وسنعرض لذلك في الفقرتين السابعة والثامنة من هذا الفصل.

2 – مرقس **Saint Marc**: اسمه يوحنا ويلقب بمرقص، وأصله من اليهود، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح، وابن أخت القديس برنابا. وقد صاحب الرسول بولس والقديس برنابا في رحلاتهما وتبشيرهما بالمسيحية في قبرص وآسيا الصغرى، ثم صاحب الرسول بطرس كبير الحواريين نفسه وقضى معه شطراً من حياته وتبعه إلى روما. وبعد استشهاد الرسول بطرس شخص مرقص إلى شمال إفريقيا ثم إلى مصر ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطريركية الإسكندرية (الكرازة المرقسية) التي يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص. واستشهد في مصر حوالي سنة 67.

---

(1) الاختلاف بين بولس وبرنابا كان حول ما تقدم به بولس من تأليه للمسيح ومن تثليث وكان هذا مما خالف به العقيدة الصحيحة، وقد قرعه برنابا ووبخه لكن بولس أصر على رأيه في ألوهية المسيح والتثليث.

(2) انظر الإصحاحات 4، 9، 11، 13، 14 من سفر «أعمال الرسل» للوقا.

وقد اختاره أهل البندقية (فينيسيا) حامياً لمدينتهم. وله في البندقية كنيسة تعد من أجمل كنائس العالم وأفخمها وأدقها عمارة وأغناها بالآثار الفنية.

وقد نقلت رفاته من البندقية إلى الكاتدرائية القبطية المقامة في حي العباسية بالقاهرة، بوصفه منشئاً للكنيسة المصرية الأرثوذكسية.

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين والتي سنتكلم عليها في الفقرة الرابعة من هذا الفصل.

3 - **لوقا Saint Luc**: ولد في أنطاكية ودرس الطب وزاول مهنته بنجاح كبير، ثم اعتنق المسيحية، وأصبح من كبار دعاتها، ورافق الرسول بولس في كثير من رحلاته، وأشار بولس إلى هذه الرفقة في بعض رسائله وخاصة في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس، وفي رسالته إلى تلميذه فيليمون وفي رسالته إلى أهل كولوس[1]. وذهب بعضهم إلى أنه كان رومانياً نشأ بإيطاليا. ويرجح آخرون أنه كان مصوراً ولم يكن طبيباً. وقد مات سنة 70 ميلادية على الأرجح.

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وسفر آخر من أسفار العهد الجديد يسمى «أعمال الرسل» وهو في تاريخ الحواريين والتلاميذ، ويعد أهم مرجع في تاريخ نشأة المسيحية وأحوالها بعد المسيح وتاريخ دعاتها الأولين[2].

---

(1) ستتكلم على هذه الرسائل في الفقرة الثامنة من هذا الفصل.

(2) عندما أقرت الكنيسة الأناجيل الأربعة كان يوجد ثلاثة وعشرون إنجيلاً ألغيت كلها وأبقوا على أربعة أناجيل وانتقيت بما يتناسب والرؤية الغربية لألوهيَّة المسيح والتثليث ولذلك ألغي إنجيل برنابا لأنه لا يقر بألوهية المسيح.

العهد الجديد

استقر رأيُ المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفارهم، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة، أي الموحى بها، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها، وأطلقوا عليها اسم «العهد الجديد» Nouveau Testament للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم «العهد القديم» Ancien Testament، فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور المسيحية ويقصد بكلمة «العهد» في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق. أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس. فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً يرجع إلى عصر موسى، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور عيسى.

وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين. فالمجموعات هي: مجموعة الأناجيل وعددها أربعة؛ ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة؛ ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل. وأما السفران فهما: سفر «أعمال الرسل» للوقا، وسفر «رؤيا يوحنا» أو «الأبوكاليبس» ليوحنا.

وسنفصل الكلام على هذه الأسفار فيما يلي:

الأناجيل الأربعة

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد، وتستأثر وحدها في هذا العهد بحيز كبير يقرب من نصفه (تستغرق نحو 110 صفحة من مجموع صفحات العهد الجديد البالغة نحو 250 في إحدى ترجماته بالفرنسية) وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

1 - **أما إنجيل متى**: فمؤلفه هو الرسول متى أحد الحواريين الاثني عشر الذي ترجمنا له في الفقرة الأولى من هذا الفصل، وإنجيله هو أقدم الأناجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالي سنة 60 بعد الميلاد على أرجح الأقوال. وقد ألفه متى باللهجة

الآرامية الفلسطينية الحديثة التي تكلمنا عليها في الفقرة الثانية من الفصل الأول من هذا الكتاب، والتي كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين. وقد أخطأ ابن البطريق (من أشهر مؤرخي المسيحية، وهو مسيحي من رجال القرن الثالث الهجري، كان من مترجمي الكتب في بلاط الخليفة المأمون، وقد ترجم له من اليونانية كتاب «المجسطي» في الفلك لبطليموس الفلكي وكتاب «الأصول» في الهندسة لإقليدس) وكثير من مؤرخي العرب إذ قرروا أن متى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية[1]. ولكن هذا الأصل الآرامي لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية التي تمت عقب تأليفه مباشرة أي حوالي سنة 60 بعد الميلاد. ولا يظهر في هذه الترجمة إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية التي كتب بها الأصل، وتتمثل هذه الآثار في نحو ست عشرة كلمة آرامية مدونة بحروف يونانية. ولا يعرف عن طريق يقيني مترجم هذا الإنجيل إلى اللغة اليونانية. ويقال إن متى هو نفسه الذي قام بترجمته؛ ويروي ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع الذي سيأتي ذكرهُ[2]. ولا يعرف لهذا الرأي سند يعتد به. وقد أخطأ أحدُ مؤرخي العرب إذ قرر أن هذا السفر قد ترجم أول ما ترجم إلى اللغة اللاتينية[3]، لأن الثابت أن أول ترجمة له هي الترجمة اليونانية كما تقدم، وهي التي وصلت إلينا بدون أصله. وهذا هو ما يقرره ابن البطريق نفسه إذ يقول: «وفي عصر قلوديوس (يقصد كلود الأول Claude 1er إمبراطور الرومان، ولد سنة 10 ق.م، ونصب امبراطوراً سنة 41 ميلادية ومات وهو في منصبه سنة 54) كتب متاوس (يقصد ميتوس أي متى) إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسره (أي ترجمه) من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل».

---

(1) انظر في ذلك ابن خلدون إذ يقول: «كتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منها إلى اللسان اللطيني» صفحة 650 من مقدمة ابن خلدون، الجزء الثاني، طبعة دار نهضة مصر، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، وانظر تعليقنا رقم 738 على هذه العبارة.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

2 - **إنجيل مرقص**: مؤلفه هو القديس مرقص أحد التلاميذ السبعين، وقد ترجمنا له في الفقرة الثانية من هذا الفصل. وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالي سنة 63 أو 65 وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخي العرب، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذِهِ بطرس رئيس الحواريين وبإرشاده، وقد رجع إليه في بعض حقائقه واستمد منه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ.

وقد روى ابن البطريق وبعض مؤرخي العرب أن هذا الإنجيل قد كتبه بطرس نفسه ونسبه إلى تلميذه مرقص. ونص عبارة ابن البطريق: «وفي عهد نارون قيصر (يقصد نيرون Néron امبراطور روما من سنة 54 إلى سنة 68) كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص في مدينة رومية ونسبه إلى مرقص». ولا يعرف لهذه الرواية سند يعتد به[1].

3 - **إنجيل لوقا**: مؤلفه القديس لوقا، وهو أحد التابعين، وقد ترجمنا له في الفقرة الثانية من هذا الفصل. وقد ألفه على أرجح الأقوال في العصر نفسه الذي ألف فيه مرقص إنجيله، أي حوالي سنة 63 ـ 65، وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية كما يذكر بعض مؤرخي العرب[2]، وافتتحه بعبارة تدل على أنه قد كتبه لعظيم يسمى ثيوفيلوس Théophile فهو يقول في فاتحته: «لقد كتب كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا (يقصد بين المسيحيين الأولين) حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهوداً لهذه الحوادث. ولما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثاً دقيقاً وتتبعها من نشأتها الأولى، لذلك رأيت من الخير أن أدوّنها لسعادتك أيها العظيم ثيوفيل في صورة مسلسلة حتى تقف على الرأي اليقيني في التعاليم التي تلقيتها»[3]. ولم يحاول لوقا أن يعرف بهذا العظيم. ولذلك اختلف فيه: فقيل إنه كان مصرياً؛ وقيل إنه أحد عظماء اليونان أو أحد علمائهم، وإلى هذا يذهب ابن البطريق وكثير من مؤرخي العرب. ونص عبارة ابن البطريق: «وكتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الروم يقال

---

(1) انظر كذلك ابن خلدون ص651، 652 من الطبعة السابقة: «وكتب بطرس إنجيله باللطيني ونسبه إلى مرقص تلميذه»، وانظر تعليقنا على هذه العبارة رقم 741.

(2) انظر مثلاً مقدمة ابن خلدون ص651 من الطبعة السابقة وتعليقنا رقم 739 على عبارته.

(3) إنجيل لوقا فقرات 1 ـ 2 من الإصحاح الأول.

له تاوفيلا». ويقول ابن خلدون في مقدمته: «وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم»[1]. (وكلمة الروم يطلقها العرب على اليونان، وقد وردت بهذا المعني في قوله تعالى «غلبت الروم في أدنى الأرض»)[2].

4 - **إنجيل يوحنا**: ألّفه الرسول يوحنا، وهو أحد الحواريين الاثني عشر وقد ترجمنا له في الفقرة الأولى من هذا الفصل، وألفه باللغة اليونانية، وكان تأليفه إياه حوالي سنة 90 بعد الميلاد على أرجح الأقوال فَهُوَ لذلك أحدث الأناجيل جميعاً. إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء ثلاثين عاماً.

ومع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل واعتباره مقدساً موحى به واعتماد صحة نسبته إلى يوحنا بن زبدي أحد الحواريين الاثني عشر، فإن بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الإنجيل وينكرون كذلك جميع ما أُسند إلى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد التي سيأتي ذكرها، ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين. بل لقد كانت بعض الفرق المسيحية القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار. ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه. ومن هؤلاء جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية، فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه «لا مرية في أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدي الحواري المشهور. وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الحبيب إلى المسيح (انظر منشأ هذا اللقب في ترجمتنا ليوحنا في الفقرة الأولى من هذا الفصل)، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها، وجَزَمتْ بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً. وإن الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية بين ذلك الفيلسوف الذي ألف هذا الكتاب في القرن الثاني من الميلاد وبين الحواري يوحنا الصياد الجليل لن يجدوا لمحاولتهم هذه أي سند وستذهب جهودهم أدراج الرياح». ومن

---

(1) انظر مثلاً ابن خلدون صفحة 651 من الطبقة السابقة وتعليق 739.

(2) أورد القرآن مصطلح الروم على الروم أنفسهم وليس على اليونان.

هؤلاء كذلك مؤلفو دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم «لاروس القرن العشرين» Larousse du XXe Siécle فقد ذكروا أنه «ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد (هي ثلاث رسائل من الرسائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا ـ وسنتكم على هذه الأسفار عند كلامنا على بقية أسفار العهد الجديد في الفقرة الثامنة من هذا الفصل). ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة».

نظرة في محتويات الأناجيل

ترجع أهمية الأمور التي تشتمل عليها هذه الأناجيل إلى خمس موضوعات وهي القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج.

1 ـ أما القصص فيشغل أكبر حيز من كل إنجيل من هذه الأناجيل، ويعرضُ لقصة مريم وحملها بالمسيح وولادته ودعوته إلى دينه واجتبائه للحواريين والتلاميذ وصلبه وقيامته بعد صلبه ورفعه إلى السماء. فتذكر هذه الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار[1]، وأنها حملت بالمسيح من قبل أن يقربها يوسف، فخالجه الشك في أمرها، وأراد أن يفارقها. فبعث الله إليه ملكاً أمره أن يمسك عليه زوجه، وأنبأه بأنها حملت من روح القدس وأنها ستلد غلاماً زكياً، وأن هذا الغلام سيخلص شعبه من خطاياه، وطلب إليه من أجل ذلك أن يسميه المسيح أي المخلص وماسح الخطايا[2]. وقد ظهر في أثناء حمله وولادته وطفولته إرهاصات ومعجزات كثيرة تنبئ بعظمته وقدسيته وتبشر بظهور دينه. ومن هذه الإرهاصات ظهور يوحنا المعمدان ابن زكريا (وهو المعروف في الإسلام باسم يحيى بن زكريا عليهما السلام) وتبشيره بظهور المسيح وعمله على تهيئة أذهان اليهود لرسالته وحثهم على التوبة مما كانوا يقترفونه من معاصي والإقلاع عما كانوا قد انحدروا إليه من زيغ في العقيدة وغسل أجسامهم في مياه الأردن (وهو ما يعبر عنه المسيحيون بالتعميد) للرمز إلى تخليصهم

---

(1) توصف مريم في بعض فقرات إنجيل متى بأنها كانت مخطوبة ليوسف النجار، وفي فقرات أخرى من الإنجيل نفسه بأنها كانت زوجة له (انظر فقرات 16 ـ 21 من الإصحاح الأول من إنجيل متى).

(2) انظر فقرات 19 ـ 21 من الإصحاح الأول من إنجيل متى.

مما كان قد علق بنفوسهم من أدران. ولما بلغ المسيح أشده ذهب إلى يوحنا ليعمده في مياه الأردن كما يعمد غيره، فأحجم يوحنا عن ذلك في أول الأمر، وذكر أنه لا ينبغي له أن يعمد من هو أعظم منه قدراً وأكبر منزلة، بل إن مثله في حاجة لأن يعمده المسيح، ولكنه عاد فأذعن للأمر تحت إلحاح المسيح ورغبته.

وحينما بلغ المسيح الثلاثين من عمره أخذ ينشر دعوته وظهرت معجزات كثيرة على يديه. وقد لا قي في سبيل دعوته كثيراً من ضروب العنت والأذى من اليهود والرومان. واجتبى لنشر رسالته في مختلف أرجاء العالم عدداً من السابقين الأولين إلى المسيحية وهم الحواريون والتلاميذ الذين ترجمنا لهم فيما سبق. ثم تآمر عليه الفريسيون من اليهود والحكام من الرومان وساعدهم في مؤامرتهم هذه يهوذا الأسخريوطي الذي كان أحد الحواريين ثم خان عهده كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وانتهت هذه المؤامرة بالحكم على المسيح بالإعدام صلباً، وكانت سنه حينئذ خمساً وثلاثين سنة. فصلب ثم دفن، وأقيم على قبره حراس أشداء يقظون حتى لا يخطف أنصاره جثته ويدّعون أنه نشر من قبره مصداقاً لما كان قد أخبر به قبل صلبه. ولكنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه (وهذا ما يعبر عنه المسيحيون بالقيامة، ويحتفلون به في عيد يسمى «عيد القيامة») وظل بعد ذلك مع حواريه وتلاميذه وأنصاره أربعين يوماً يعلمهم ويرشدهم، ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين أبيه.

2 ـ وأما العقائد التي تشتمل عليها هذه الأناجيل فتدور كلها حول المسيح وتقرر ألوهيته وبنوته للأب، وأن الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم (جمع أقنوم بضم الهمزة أي الأصل وهو تعريب لكلمة Hypostages من اليونانية Hypo, stasis بمعنى الأصل المركب) وهي الآب والابن وروح القدس، وأن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة الأزلية péché originel وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة التي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن افتداهم المسيح بدمه، وأن المسيح قد قام من قبره بعد صلْبِهِ بثلاثة أيام، وظل مع حواريه وأنصاره أربعين يوماً ثم رفع إلى السماء حيث جلس على يمين أبيه، يصرف شؤون العالم. وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه

في الحياة الدنيا، فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته[1]. وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو إنجيل يوحنا.

3 ـ وأما فيما يتعلق بشؤون الشريعة فإنه يفهم من هذه الأناجيل أن المسيحية قد أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم، ولم تستثن من ذلك إلا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله. وقد ورد في الأناجيل نصوص قليلة ناسخة ومعدلة لبعض أحكام العهد القديم ومعظمها جاء على لسان المسيح في وصيته المشهورة «بوصية الجبل» أو«خطبة الجبل» Sermon de la montagne وهي التي ألقاها وهو جالس على قمة جبل وسمعها جمهور كبير من الناس يتقدمهم حواريوه وتلاميذه[2]. ومن ذلك ما ورد فيها بشأن الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية. فقد ذكر المسيح في هذه الوصية أن موسى لقساوة قلوب الناس قد أباح الطلاق ولكنه هو (أي المسيح) يقرر أن «من يفارق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها تزني، وأن من يتزوج مطلقة يزني»[3]، وأن «من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن فارقت المرأة زوجها وتزوجت بآخر ارتكبت بذلك جريمة الزنا»[4]، وأن «الزوجين بعد زواجهما يصبحان جسماً واحداً فلا يعودان بعد ذلك اثنيْن، فالذي جمعه الله هذا الجمع لا يصح أن يفرقه الإنسان»[5]. ـ وذكر في الوصية نفسها بصدد قصاص الجروح أنه «قد تقرر فيما سبق (يقصد في التوراة) أن العين بالعين والسن بالسن، أما أنا فأقول إنه لا ينبغي أن تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى، وإنه إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدرْ له خدك الأيسر، وإذا نازعك أحد في إزارك وادعى ظلماً أنه له فأعطه إزارك

---

(1) تمثّل هذه النقطة الأخيرة ناحية من أهم النواحي التي تختلف فيها العقيدة المسيحية عن عقائد اليهود المقررة في العهد القديم. فأسفار العهد القديم كما سبقت الإشارة إلى ذلك، قد خلت من ذكر البعث والنشور واليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.

(2) انظر في هذه الوصية الإصحاحات الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى.

(3) فقرة 32 إصحاح 5 من إنجيل متى.

(4) مرقس، إصحاح 10 فقرتي 11، 12.

(5) مرقس، إصحاح 10، فقرتي 8، 9.

ورداءك»[1]ـ وروى يوحنا في إنجيله بصدد رجم الزانية أن جماعة من فقهاء اليهود المنتمين إلى فرقة الفريسيين قد جاؤوا يوماً إلى المسيح بإمرأة قد قبض عليها وهي متلبسة بجريمة الزنا، وذكروا له أن موسى قد قرر في شريعته حد الرجم على الزانية، وطلبوا إليه أن يبين لهم رأيه في هذا الموضوع، قاصدين بذلك امتحانه واستدراجه لعله يحكم بغير ما أنزل الله فيعطيهم بذلك سلاحاً لمحاربته والقضاء عليه وعلى دعوته. فأطرق قليلاً وأخذ يخط بيده على الأرض. وظلوا هم يكررون سؤالهم. فرفع بصره وقال لهم: ليبدأ برجمها من لم يرتكب منكم خطيئة. ثم أطرق برأسه وأخذ يخط بيده على الأرض. فأخذ بعضهم ينظر إلى بعض ثم تسللوا واحداً بعد الآخر حتى انصرفوا جميعاً، لأنه لم يكن واحد منهم مبّرأً من الخطيئة. فرفع المسيح بصره فلم يجد أمامه إلا المرأة. فقال لها أين هؤلاء الذين يتهمونك، ألم يبدأ أحدهم برجمك؟ فقالت لا يا سيدي. فقال لها وأنا أيضاً لا أعاقبك؛ اذهبي لسبيلك ولا ترجعي لما اقترفته[2].

ـ ومعنى ذلك أن المسيح قد ألغى حد الزنا مكتفياً بأخذ العهد على مقترفه ألا يعود إليه مرة أخرى.

4 ـ وأما فيما يتعلق بأخلاق الأناجيل فإنها ممعنةٌ كل الإمعان في مثاليتها وحريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة، حتى إنها لتكاد تجعل ذلك واجباً من الواجبات. وتبدو هذه القواعد أوضح ما تكون في كثير من الفقرات الواردة في خطبة الجبل السابق ذكرها. فمن ذلك قول المسيح في هذه الوصية: «لقد كان يقال لكم (يشير إلى بعض التعاليم الواردة في أسفار اليهود) أحبوا أبناء شعبكم وأبغضوا أعداءكم. وأما أنا فأقول لكم: احبوا أعداءكم وباركوا الذين يلعنونكم، وقدموا الخير لمن يكرهونكم، وادعوا بخير لهؤلاء الذين يضطهدونكم ويعذبونكم، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناء لأبيكم الذي في السموات»[3]. ومن ذلك قوله في الوصية نفسها: «سمعتم أنه قيل للقدماء: عين بعين

---

(1) متى، إصحاح 5، فقرات 38، 40.

(2) إنجيل يوحنا فقرات 7 ـ 11 من الإصحاح الثامن.

(3) متى، إصحاح 5 فقرات 43 ـ 45.

وسن بسن. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، ولا تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى. بل إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الآخر، وإذا خاصمك أحد ظلماً في إزارك فاترك له رداءك أيضاً»[1].

وغني عن البيان أن تطبيق هذه المبادئ تطبيقاً حرفياً يؤدي في النهاية إلى إلغاء العقوبات.

5 ـ وأما فيما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن الحصور[2] أدنى إلى الله ممن يقرب النساء، وأن هذه المبادئ مستمدة من روح الأناجيل نفسها. وفي هذا يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل قورنثة: «أن من يزوج ابنته يأت عملاً طيباً ولكن من يعضلها[3] يأت ما هو أفضل[4]..وأنه من الخير للرجل أن يظل أعزب إلا إن خاف الوقوع في الخطيئة[5].. وإني لأنصح للأيامى[6] من الرجال والنساء أن يقتدوا بي فيظلوا على ما هم عليه، فإن لم يقو أحدهم على العفة فلا مندوحة له حينئذ عن الزواج، فلأن يتزوج خير من أن يكون وقوداً لنار جهنم»[7].

ويعلق ترتوليان Tertullien[8] على هذه الفقرة الأخيرة من رسالة بولس الرسول فيقول: «إن الأفضل من حالتين لا يلزم أن يكون خيراً في ذاته. فلأن يفقد الإنسان عيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتا عينيه. ولكن فقد عين واحدة ليس من الخير في شيء.

---

(1) متى، إصحاح 5 فقرات 38 ـ 40.

(2) «الحصور من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك أو من لا يشتهيهن ولا يقربهن» أ هـ من القاموس المحيط. وبالمعنى الأول وحده يستخدم هذا الوصف في هذه الفقرة.

(3) عضل المرأة عدم تزويجها. ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾ (آية 19 من سورة النساء).

(4) فقرة 38، إصحاح 7 من الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثة.

(5) فقرتي 1، 2 من إصحاح 7 من الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثة.

(6) الأيم بتشديد الياي العزب رجلاً كان أو امرأة والجمع فيها أيامى، أ هـ المصباح المنير.

(7) فقرتي 8، 9 من إصحاح 7 من الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثة.

(8) من كبار فقهاء الكنيسة المسيحية (160 ـ 1240م).

فكذلك الزواج: فهو لمن لم يقو على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم. ولكن الخير أن يتقي الإنسان الأمرين معاً: فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار. وإن قصارى ما يحققه الزواج أنه يعصم الفرد من الخطيئة، على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين، ويذلل له السبيل إلى منزلة الإشراق، ويتيح له أن يأتي بالمعجزات. فجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء.

والقديس يوحنا المعمدان Jean Bâptiste (يحيى بن زكريا) والرسول بولس وجميع إخوانه الحواريين الذين سجلت أسماؤهم في سفر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه. وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى[1] أن تعبر البحر هي وجميع من كن يسرن خلفها من النساء فانشق لهن فيه طريق يبس وانتهين إلى الساحل الآخر سالمات. والقديسة البتول تقلا Thécle قد ألقى بها الكفار إلى الأسد الجائعة فوجمت الأسد أمامها ورقدت تحت قدميها بدون أن تمسها بسوء[2]. وقد فتح السيد المسيح للخصيان أبواب السماء، لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين التقرب إلى النساء.. ولو أن آدم لم يعصِ ربه لعاش طهوراً حصوراً ولتكاثر النوع الإنسان بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ولعمرت الجنة بفصيلة من الطاهرين الخالدين»[3].

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقائق على أنها من الأمور المسلمة في الدين بالضرورة، أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك فيها، وأنها مستمدة من روح

---

(1) هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ....﴾ (آيتي 11، 12 من سورة القصص).

(2) تذكر القصص المسيحية أن الشهيدة تقلا Thécle كانت من السابقات الأوليات إلى اعتناق المسيحية في القرن الأول الميلادي على يد الرسول بولس، وأن الله نجاها بمعجزة من كثير من أنواع العذاب الذي امتحنها به الوثنيون ليثنوها عن عقيدتها. ويحتفل المسيحيون بذكراها في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر.

(3) Tertullien, De Monogamia 3, cité par Westermarck. "Idees Morales" T. II. 395, 396.

وقد وافق ترتوليان على ما تضمنته الفقرة الأخيرة الخاصة بآدم ونسله جريجواز ر النيسي ويوحنا الدمشقي Gergoire de Nyssé et Jean de Damas وخالفه في ذلك توماس الأكويني St. Tomas d'Aquin الذي يرى أنه منذ بدء الخليقة قد جعل الله بقاء النوع وانتشاره متوقفين على الاتصال الجنسي. ولكن هذا الاتصال لم يكن في بدء الخليقة منطوياً على اللذة الجنسية التي امتزجت به بعد أن هبط آدم من الجنة Westermarck, op. Cit., 396.

الأناجيل نفسها، إن لم يكن من نصوصها، حتى إن مجمع مديولانس Médiolanense المسيحي قد حكم على الراهب جوفينيان Jovenien بالطرد من الكنيسة لأنه عارض المبدأ المسيحي الذي يقرر أن التبتل خير من الزواج[1]. وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك إلى الزواج على أنه مجرد ضرورة لصيانة المرء من الفاحشة. ومن ثم لا ينبغي في نظرهم للمسيحي المتزوج أن يطلق لنفسه العنان في إشباع شهواته، بل ينبغي أن يفيد من ذلك بقصد واعتدال وفي الحدود التي تحقق الذرية والنسل «فيكون شأنه شأن الزارع الذي إذا بذر البذرة انتظر الحصاد بدون أن يلقي في الأرض بذوراً أخرى»[2].

وقد ذهبت فرقة المارسينيين Marcionites (وهي فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون Marcion)[3] إلى ما هو أبعد من ذلك، فحرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد نحلتها كما فعلت فرقة الأسينيين[4] من اليهود وأوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن زوجته، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده.

هذا، وقد أدت نظرةُ المسيحية إلى التبتل على أنه الحالة المثلى وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة، أدت هذه النظرة بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على القسيسين الرهبان في المذهب الكاثوليكي.

وغني عن البيان أن هذه المبادئ المسيحية، بحثها على العزوبة ونظرتها إليها على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة، تعمل على انقراض النوع الإنساني وتعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضي.

هذا، وتتفّقُ الأناجيل الأربعة جميعاً في جوهر القصص والعقيدة والتشريع والأخلاق والزواج على النحو السابق بيانه. ويمتاز الإنجيل الرابع، وهو إنجيل يوحنا، عن الأناجيل الثلاثة، السابقة له في تاريخ تأليفها بنحو ربع قرن، بمزيد من التفصيل في

---

(1) Westermarck, op. Cit, 396.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) سيأتي الكلام على مرسيون ومذهبه في الفقرة التاسعة من هذا الفصل.

(4) انظر فقرة 13 من الفصل الأول.

العقائد والشرائع، وبالتصدي للرد على البدع التي استحدثت في المجتمعات المسيحية في عصره، وبمزيد من الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته للآب.

ومع اتفاقها في الجوهر فإنها تختلف فيما بينها في كثير من التفاصيل، ويبدو خلافها هذا حتى في القصص نفسه.

فمن ذلك خلافها في نسب المسيح من جهة يوسف النجار زوج أمه مريم. فإنجيل متى يذكر في نسبه هذا آباء غير الآباء الذين يذكرهم إنجيل لوقا، وبينما يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى إبراهيم الخليل ستة وخمسين أباً يهبط بهم متى إلى اثنين وأربعين فحسب، وبينما يعد لوقا في سلسلة نسبه إلى داود واحداً وأربعين أباً يهبط بهم متى إلى سبع وعشرين، وبينما يستفاد من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل[1] ملوك مشهورون يظهر مما ذكر لوقا أن ليس منهم من يعد من الملوك المشهورين غير داود وناثان[2].

ومن الغريب أن صاحبي هذين الإنجيلين يعتبران هذه السلسلة نسب المسيح من جهة آبائه. مع أنها سلسلة ليوسف النجار، والمسيح ليس ابناً ليوسف النجار. ولو أنهما ذكرا نسبه من جهة أمه لكان لقولهما مخرج ومبرر.

ومن ذلك اختلافها في حادث القبض على المسيح. فقد قص إنجيل متى خبر القبض عليه في هذه العبارة: «وبينما كان المسيح يحدث أنصاره، قدم يهوذا وهو واحد من حواريه الاثني عشر، ومعه جمع كبير بسيوفهم وعصيهم، وقد جاؤوا من عند كبار الكهنة ورؤساء الشعب، وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ترشدهم إلى المسيح، وذلك بأن يتقدم إليه فيقبله. ولما تقدم إليه سلم عليه وقبله. فحينئذ عرفوا المسيح فتقدموا إليه وقبضوا عليه»[3]. ولكن إنجيل يوحنا يقص قصة القبض عليه على وجه آخر إذ يقول: «فأخذ يهوذا الجند وخداماً من كبار الكهنة والفريسيين وجاؤوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع، وهو عالم بكل ما سيحدث، وقال لهم من تطلبون؟ فأجابوه نطلب

---

(1) انظر الفقرة الأولى من الفصل الأول من هذا الكتاب.

(2) وازن بين فقرات 1 ـ 17 من الإصحاح الأول من إنجيل متى، وفقرات 23، 38 من الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا.

(3) فقرات 47 ـ 50 من إصحاح 26 من إنجيل متى.

يسوع الناصري، فقال لهم أنا يسوع الناصري. وكان يهوذا الذي أسلمه واقفاً معهم. فلما قال لهم أنا يسوع الناصري رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فأعاد عليهم السؤال قائلاً من تطلبون. فقالوا نطلب يسوع الناصري، فأجاب يسوع قد قلت لكم إني أنا هو...»[1].

نظرة في موقف الإسلام من هذه الأناجيل

ومن هذا يظهر مبلغ الخلاف بين هذه الأناجيل ومحتوياتها من جهة وما يذكره القرآن عن إنجيل عيسى وعن عيسى نفسه ورسالته وتاريخه من جهة أخرى.

فالقرآن يحدثنا عن كتاب سماوي أنزله الله على عيسى. وهذه أسفار كتبها أناس من البشر بأقلامهم بعد رفع المسيح بنحو ثلاثين سنة، بل إن آخر إنجيل منها هو إنجيل يوحنا قد كتبه صاحبه بعد رفع المسيح بنحو خمس وخمسين سنة، وهي أسفار غير متفقة كل الاتفاق في محتوياتها، حتى فيما ترويه عن قصة المسيح نفسه.

والمسيح الذي يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذي تحدثنا عنه هذه الأناجيل. فالمسيح في القرآن إنسان من البشر اصطفاه الله كما اصطفى غيره من الرسل، وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف هو أنه قد ولد بدون أب. وليس ذلك بعزيز على الله، فقد خلق الله تعالى آدم من قبل بدون أب ولا أم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59). أما مسيح هذه الأناجيل فهو كائن غريب: هو إله وابن الله وأقنوم من الأقانيم الثلاثة المكون لله أو متلبس بهذا الأقنوم!.

---

(1) إنجيل يوحنا إصحاح 18، فقرات 1 ـ 9 هذا وقد وقف العلامة ابن حزم قسماً كبيراً من الجزء الثاني من كتابه: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» على بيان وجوه الخلاف بين هذه الأناجيل وما تشتمل عليه من «أكاذيب ومتناقضات ودلائل دامغة على التحريف» (انظر صفحات 1 ـ 70 من الجزء الثاني طبعة صبيح سنة 1347 هـ). ووقف كذلك العلامة رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق» نحو ستين صفحة لضرب أمثلة كثيرة لهذه الاختلافات والمتناقضات (صفحات 96 ـ 123، 139 ـ 172 طبعة مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء).

والقرآن يذكر أن المسيح قد أُرسل إلى بني إسرائيل، كما أرسل إليهم من قبل رسل آخرون لينقذوهم مما انحدروا إليه من كفر وضلال ويأتيهم بشريعة جديدة تلائم عصرهم ويهديهم صراطاً مستقيماً، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم، وأن آدم قد أناب إلى الله واستغفر مِنْ خطيئته التي ارتكبها إذ أكل من الشجرة فغفرها الله له، وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها، فلا تزر وازرة وزر أخرى. وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (البقرة: 87) ويقول: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (المائدة: 75) ويقول: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ..... وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ..... وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ .....﴾ (آل عمران: 45 ـ 50) ويقول: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء: 157 ـ 158)، ويقول في صدد آدم: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 37) ويقول: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (طه 121 ـ 122). ويقول مقرراً إن الوزر لا يحتمل إثمه وتبعته إلا من اقترفه: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النجم: 38 ـ 39). ـ بينما تذكر هذه الأناجيل أن من أهم الأغراض التي ظهر من أجلها المسيح ابن الله أن يكفر بدمه الخطيئة التي ارتكبها آدم والتي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وأنه قد صلب بالفعل، فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله.

والقرآن يذكر أن الديانة التي جاء بها المسيح ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الله وحده. وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان المسيح مجيباً على سؤال من ربه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة: 117)، بينما نرى أن الديانة التي تقررها هذه الأناجيل هي ديانة شرك تقوم على الاعتقاد بالتثليث، أي أن الله ثالث ثلاثة: الآب والابن

والروح القدس، وعلى الاعتقاد بألوهية المسيح وبنوَّتِهِ لله وأنه أحد الأقانيم الثلاثة. ـ وقد نعى القرآن الكريم في أكثر من آية على المسيحيين تحريفهم لكتاب الله في أسفارهم المزعومة وتغييرهم لطبيعة المسيح، وزعمهم أنه ابن الله، واستبدالهم بعقيدة التوحيد التي أمروا بها عقيدة الشرك والتثليث. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ (أي واتخذوا المسيح بن مريم كذلك إلهاً من دون الله) وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (التوبة: 30 ـ 31) وقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (المائدة: 72 ـ 75)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء: 171)، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة: 116)، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (مريم: 88 ـ 93)، وقوله: ﴿ فَوَيْلٌ

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: 79).

والقرآن يذكر أن الشريعة التي جاء بها عيسى شريعة سماوية سمحة تحقق صلاح الناس في الدنيا والآخرة، وتعدل من الشرائع السابقة ما تقتضي الشؤون الاجتماعية تعديله، وترفع عن الناس إصْرَهم، وتزيل جميع مظاهر العنت والحرج، وتقيم وزناً لضرورات الحياة، وتكفل للمجتمع الإنساني الاستقرار، وتحيط نظم العمران وحدوده ووسائل أمنه بسياج من الحماية؛ على حين أن الشريعة التي تذكرها هذه الأناجيل تبدو في كثير من أحكامها مظاهر العنت والحرج والتضييق على الناس وعدم إقامة وزن لضرورات الحياة ولا لشؤون الاجتماع، كأحكامها الخاصة بتحريم الطلاق وتحريم الزواج على الزوجين إذا فرق بينهما عقب ارتكاب أحدهما لجريمة الزنا[1]. بل إن بعض أحكامها ليؤدي إلى انقراض النوع الإنساني ويعجل بفناء الكون من عالمنا الأرضي كنظرتها إلى العزوبة على أنها الوضع الأمثل للرجل والمرأة على النحو الذي سبق بيانه. وشريعة كهذه لا يمكن أن تصدر عن عاقل، بله صدورها عن الله الحكيم العليم.

والقرآن يحث على التسامح والعفو عن الأذى ويجعل ذلك مثلاً أعلى، ويعظم من أجر فاعله، ولكن لا يوجبه على الناس، لأن هذه المنزلة لا تتاح إلا لصفوة من الخلق وهم الذين وصلت نفوسهم إلى درجة كبيرة من الصفاء، وروضوها على الخير والإيثار. ولذلك يقرر مسؤولية البادئ، ويقيم جزاءه على أساس القصاص والمقابلة بالمثل، حتى لا يرهق الناس عسراً من أمرهم، وحتى يحيط أرواحهم وأموالهم بسياج من القدسية والحماية، وحتى لا يستهين الفرد بانتهاك حقوق الآخرين وتعدى حدود الله. وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: 126)، ويقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ

---

(1) انظر تعليقي على هذه الأحكام والموازنة بينها وبين أحكام الشريعة الإسلامية في كتابي عن «حقوق الإنسان في الإسلام» وفي كتابي عن «المرأة في الإسلام».

لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الشورى: 40 ـ 43)، ويقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصلت: 34 ـ 35)، ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ (البقرة: 277 ـ 280)، ويقول: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۖ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (البقرة: 237). ويقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾ (النساء: 92).

على حين أن هذه الأناجيل تحاول أن توجب على جميع الناس التسامح، وتكاد تفرض على الفرد العفو عما يلحقه من غيره من ضرر وأذى: «فإذا صفعه أحد على خده الأيمن وجب عليه أن يدير له الخد الآخر ليصفعه عليه كذلك، وإذا نازعه أحد إزاره وادّعى ظلماً أنه له وجب عليه أن يتنازل له عن إزاره وردائه معاً». ـ وهذا، ولا شك، مثل أعلى للأخلاق الكريمة قد يفعله صفوة من خيار الناس ممن سماهم القرآن «ذوي الحظ العظيم»، ولكن لا يعقل أن شريعة سماوية تجعله واجباً على جميع الناس كما تفعل هذه الأناجيل.

والقرآن يذكر أن الحواريين كانوا من أنصار الله ومن الداعين إلى عقيدة التوحيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ (الصف: 14). على حين أن هذه الأناجيل ينسب تدوينها لبعض حواريي المسيح وتلاميذه وتابعيهم مع اشتمالها على تقرير عقيدة الشرك والتثليث وألوهية المسيح ونسبة الولد لله. فإما أن يكون الأشخاص الذين تنسب إليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن، وإما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويذكر أنهم أنصار الله والدعاة إلى توحيده، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت إليهم بهتاناً وزوراً. وقد رأينا فيما سبق أن أئمة الباحثين في هذه الأمور في

الوقت الحاضر يقطعون بأن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا الحواري. وما حدث في إنجيل يوحنا يمكن أن يكون قد حدث مثله في غيره من الأناجيل. بل إن جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم «لاروس القرن العشرين» ليذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤيد أن هذه الأناجيل قد كتبها أناس غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم.

بل إن مظاهر الشك والريبة التي أحاطت بأسفار المسيحيين ومؤلفيها قد حملت بعض الباحثين من الفرنجة على الشك في شخصية المسيح نفسه. بل لقد أنكر بعضهم وجوده إنكاراً تاماً، وزعم أنه شخصية أسطورية نسجت حولها هذه العقائد والعبادات والشرائع. ومن أهم ما يستدل به أصحاب هذا الرأي أن يوسف المؤرخ اليهودي الشهير (37 ـ 95 ميلادية) لم يشر في تاريخه إلى ظهور شخص في عصره اسمه المسيح، مع أنه كان معاصراً للأحداث الأولى للمسيحية. ولكن المتأخرين من النصارى دسوا في كتابه جملة عن المسيح ثبتت في بعض نسخ هذا الكتاب وبدت حاملة في مظهرها دليل إقحامها كأنها الرقعة الجديدة في الثوب الخلق. ولا أدل على ذلك من أن العلامة ابن حزم وهو من رجال القرن الخامس الهجري (383 ـ 457) قد ذكر في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» أن يوسف لم يذكر في كتابه شيئاً صريحاً عن المسيح. وفي ذلك يقول: «قرأت في تاريخ لهم جمعه رجل هاروني كان قديماً فيهم ومن كبارهم وأئمتهم قد أدرك المسيح واسمه يوسف بن هارون. قد ذكر ملوكهم وحروبهم إلى أن وصل إلى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام، فذكره أجمل الذكر، وعظم شأنه، وأنه قتل ظلماً لقوله الحق. وذكر أمر المعمودية ذكراً حسناً ولم ينكرها ولا أبطلها. ثم قال في ذكره لذلك الملك هيرودس بن هيرودس: وقتل هذا الملك من حكماء بني إسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة. ولم يذكر من شأن المسيح بن مريم أكثر من هذا»[1]. وهذا يدل على أن كتاب يوسف المؤرخ اليهودي كان إلى عهد ابن حزم خالياً من إشارة صريحة إلى المسيح.

والحق أن مسيحهم هذا الذي يصورونه على أنه إله لم يكن له وجود إلاّ في مخيلاتهم، ولم يوجد إلا المسيح الذي يحدثنا عنه القرآن، وهو إنسان من البشر أرسله الله إلى

---

(1) الصفحتان 82، 83 من الجزء الثاني من كتاب «الفصل...» لابن حزم.

بني إسرائيل كما أرسل إليهم غيره من الرسل من قبله. وإغفال يوسف المؤرخ اليهودي لذكره يرجع إلى عداوة اليهود لهذا الدين الجديد ومحاولتهم طمس معالمه، أو لعل ظهور المسيح الحقيقي كان في عصر لاحق لعصر المؤرخ يوسف وهو العصر الذي يقرر المسيحيون أن المسيح قد ظهر قبيله.

الأناجيل غير المعتمَدَة عند المسيحيين

كان لدى المسيحيين في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة السابق ذكرها، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها. فكان ثم إنجيل ينسب لمتى غير إنجيله السابق ذكره في الأناجيل الأربعة، وإنجيل ينسب لبرنابا، وإنجيل ينسب للحواري يعقوب Saint Jacques وإنجيل ينسب للحواري توماس Saint Thomas (ويقص هذان الإنجيلان أموراً أغفلتْها الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح)، وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم Saint Nicodéme (أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح. وقد لقي المسيح وجرت له معه مناقشات في الشؤون الدينية، فآمن برسالته، وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح. ـ وقد كتب إنجيله باليونانية، ويقص فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأربعة عن موت المسيح ونزوله إلى «المطهر» أو البرزخ أو الأعراف les limbes ، وهو عند المسيحيين مقر الأرواح الطيبة التي مات أصحابها قبل بِعثة المسيح، ومقر أرواح الأطفال الذين ماتوا من قبل أن يعمدوا، ومقر مرتكبي الخطايا من المسيحيين، ويجتاز هؤلاء جميعاً في المطهر مرحلة ألم وعذاب قبل أن يدخلوا الجنة)، وإنجيل يقال له «إنجيل السبعين» وينسب إلى تلامس، وإنجيل يقال له «إنجيل الاثني عشر l'Evangile des Douze»، وإنجيل اشتهر باسم «التذكرة»، وإنجيل كان يسمى «إنجيل العبريين أو الناصريين» l'Evangile des Hébreux des Nazareens وإنجيل كان يسمى «إنجيل المصريين» l'Evangile des Egyptiens، وكان لكل من أتباع ديصان وأتباع

ماني وأتباع مرقيون أو مرسيون Macions[1] وأتباع أبيون les Ebionites إنجيل خاص يختلف عن إنجيل من عداهم.

ثم رأت الكنيسة المسيحية في أواخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل الثالث أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم ببطلانها وتحافظ على ما تعتقد صدق حقائقه وصحة نسبته إلى صاحبه؛ فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التي كانت رائجة حينئذ، وقررت أنها هي وحدها الأناجيل الصادقة في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى أصحابها، وأن ما عداها من الأناجيل أناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة في حقائقها، ومعظمها غير صحيح في نسبته إلى من ينسب إليه؛ وأجبرت المسيحيين على قبولها ورفض ما عداها؛ مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك العهد أقل ذيوعاً وشهرة من بعض الأناجيل الأخرى، بل كانت مجهولة لكثير من المسيحيين؛ وأول من أذاع ذكر هذه الأناجيل القديس إرينيه Saint Irénée إذ قرر في سنة 209 أن هذه الأناجيل هي مجرد صور لإنجيل واحد Evangile tetramophe ثم جاء من بعده القديس كليمان الإسكندريّ Saint Clément d'Alexandrie (من كبار رجال الكنيسة وفقهائها توفي سنة 220) وقرر في سنة 216 أن من واجب المسيحي التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة.

هذا، وسنلقي فيما يلي نظرة على ثلاثة من الأناجيل غير المعتمدة، وهي إنجيل متى غير المعتمد وإنجيل الأبيونيين وإنجيل برنابا، لاختلافها اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة في بعض نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه وتاريخ مريم، ولاتفاقها في بعض هذه الأمور مع ما قرره القرآن، مفصلين القول بعض التفصيل في إنجيل برنابا لكثرة وجوه الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة وكثرة وجوه الاتفاق بينه وبين القرآن وعقائد المسلمين، ومجملين القول في الإنجيلين الآخرين لأنهما لا يبلغان مبلغ إنجيل برنابا في هذه الوجوه.

أما إنجيل متى غير المعتمد عند المسيحيين l'Evangile de Pseudo Mathieu فمن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه في تاريخ مريم أم المسيح. وذلك أن

---

(1) سنتكلم على مرسيون وفرقته في الفقرة التاسعة من هذا الفصل.

الأناجيل الأربعة، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، تذكر أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار، وأنها جاءت بالمسيح بدون أن يمسها يوسف. وأما إنجيل متى غير المعتمد عندهم فيقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة وإنما كانت من العذارى اللائي نذرن أنفسَهُنَّ ونذرهن أهلن لخدمة المعبد، أي كانت من الراهبات اللائي كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التي يعتكفن فيها[1] وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والاتصال بالرجال، كشأن الراهبات المسيحيات في الوقت الحاضر. ويتفق هذا مع بعض نواحيه مع ما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد إذ يقول:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (آل عمران: 35 ـ 37).

وأما إنجيل الأبيونيين l'Evangile des ébionites فهو إنجيل مدون باللغة الآرامية كانت تتمسك به فرقة مسيحية تسمى فرقة الأبيونيين نسبة إلى زعيمها أبيون Ebion. وقد ظل لهذه الفرقة أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي ثم انقرضت بعد ذلك. ويقر هذا الإنجيل جميع شرائع موسى، ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم وينكر ألوهيته، ويعتبره مجرد بشر رسول. وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم.

وأما إنجيل برنابا فهو منسوب للقديس برنابا الذي ترجمنا له في الفقرة الثانية من هذا الفصل. وكان معروفاً لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا إنجيلاً، وورد ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول Saint Gélase I[er] (الذي تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما من سنة 492 إلى سنة 496) وعدد فيه الكتب المنهيّ عن قراءتها، وذكر

(1) V. Westermarck. Origine et Development des Idees Morales (tra. Fran.) T. II, p.398.

من بين هذه الكتب إنجيل برنابا. وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي، أي قبل بعثة رسولنا عليه السلام بنحو قرنين.

غير أنه يظهر أنَّهُ قد اختفت من بعد ذلك جميع نسخ هذا الإنجيل ولم يعد الناس يعرفون شيئاً عن محتوياته. ولعل تحريم قراءته هو الذي انتهى به إلى ذلك. وظل الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي. وفي سنة 1709 عثر كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة باللغة الإيطالية وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية. وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة 1738 إلى البلاط الملكي بفينا.

وغني عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التي كتب بها في الأصل هذا الإنجيل. فإذا صح أن مؤلفه هو برنابا فإن من الراجح أن يكون قد كتبه بإحدى اللغات الثلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في عصره وفي بيئته وهي اللغات العبرية والآرامية واليونانية. ولا يمكن أن يكون قد كتب في الأصل باللغة الإيطالية؛ لأن اللغة الإيطالية لغة حديثة لم يتم تكوينها وانشعابها عن أمها اللاتينية إلا بعد حوالي القرن السادس عشر الميلادي.

هذا، ويختلف هذا الإنجيل اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين في كثير من نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه، ويتفق كل الاتفاق فيما يقرره في هذه الشؤون مع العقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن. ويرجع أهم ما خالف فيه الأناجيل الأربعة المعتمدة ووافق فيه العقيدة الإسلامية إلى الأمور الثلاثة الآتية:

1 ـ أنَّهُ يقرر أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً وأنه ليس إلهاً ولا ابناً لله. فهو يقول في مقدمة إنجيله: أيها الأعزاء إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين، وخصه بمعجزات اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين، فأخذوا بتعاليم ممعنة في الكفر، داعين أن المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به ومجوزين كل لحم نجس[1]. وقد ضل مع هؤلاء بولس الذي لا أتكلم عنه إلاّ مع الأسف والأسى. وهذا هو

(1) انظر ترجمة الحواري يعقوب الصغير وما أدخله من تعديل في موضوع الختان وإحلال لحم الخنزير في الفقرة الأولى من هذا الفصل صفحتي 80 ـ 81.

ما دعاني لأن أسطر الحق في هذه الشؤون. ويروي في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني هيردوس ملك اليهود، فذكر له كبير الكهنة أن فريقاً من الناس يقولون إنه إله وأن فريقاً آخر يقولون إنه ابن الله، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله. فقال له يسوع وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة؟! وهل جننت أنت أيضاً؟! وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا؟!. ثم قال: إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض إني بريء من كل ما قاله الناس عني من أني أعظم من البشر، لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر...». ـ ويقول في آخر الفصل السبعين: إن يسوع قد نظر إلى الحواريين عندما بلغه افتِتانُ الناس به وادِّعاؤهم أنه إله أو أنه ابن الله، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم في ذلك. فأجاب بطرس: إنك المسيح ابن الله. فغضب حينئذ يسوع وانتهره قائلاً: «اذهب وانصرف عني، لأنك أنت الشيطان..».

2 ـ أنه يقرر أن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم، فيتفق مع ظاهر ما يقرره القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء: 157). فيقرر هذا الإنجيل أن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الأسخريوطي فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح. وفي هذا يقول ما نصه: «ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فانسحب إلى البيت خائفاً. وكان الأحد عشر نياماً(يقصد الحواريين الأحد عشر). فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه جبريل وميخائيل ورفائيل وأدريل (أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) أن يأخذوا يسوع من العالم. فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب ووضعوه في السماء الثالثة مع الملائكة الذين يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون... ودخل يهوذا بعنف إلى الحجرة التي عرج منها بالمسيح؛ وكان التلاميذ كلهم نياماً. فأتي الله بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، وأصبح شبيهاً بيسوع في كل شيء، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين هو المعلم (يقصد المسيح). لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا، أنسيتنا الآن...».

ويذكر في موطن آخر: «الحق أقول: إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بَلَغَتْ من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، لذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع، معتقدين أنه كان نبياً كاذباً، وأن الخوارق التي ظهرت على يديه إنما ظهرت بصناعة السحر، لأن يسوع قال إنه لا يموت..». ثم يذكر أن يسوع طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره ومن اعتقاد بأنه هو الذي صلب، وأنه نزل بعد ثلاثة أيام. ثم يقول: «ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات، وقال لهم: إن الله قد وهبني أن أعيش؛ أتحسبونني أنا والله كاذبين... الحق أقول لكم إنني لم أمت، بل الذي صلب هو يهوذا الخائن. احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم وكونوا شهودي في كل إسرائيل وفي العالم أجمع على جميع الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها».

3 ـ أنه يقرر أن مسيا أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع بل محمد عليه السلام. وقد ذكر محمداً، أي لفظاً يفيد مدلوله شخصاً كثر حمد الناس له وثناؤهم عليه، في كثير من فصوله («فارقليط» تعريب لكملة «بركلتوس» اليونانية. ومعناها الذي يحمد حمداً كثيراً)، وقال: إنه رسول الله وإن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويروي عن المسيح أنه قال: «إن الآيات التي يظهرها الله على يدي تدل على أني أتكلم بما يوحي إليّ به، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه (يقصد المسيح المنتظر الذي يتحدث عنه العهد القديم) لأنني لست أهلاً لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي، وسيأتي بعدي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية». ويذكر في الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلاماً وافياً في تبشير المسيح بمحمد ﷺ، لأن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يصرح لهم به، فصرح بما يعلن حقيقته ويبين ما له من شأن.

وهذا يتفق في جملته مع ما يذكره القرآن عن عيسى إذ يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: 6).

ويخالف هذا الإنجيل كذلك العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية ويتفق مع أرجح الآراء عند المسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للفداء، فيقرر أن المسيح قد بين أن هذا الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق كما هو مذكور في توراة اليهود. وهذا هو نص ما جاء في إنجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام. «الحق أقول لكم، أنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا. لأن الملاك قال يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. فأجاب إبراهيم ها هوذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله. فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً خذ ابنك بكرك واصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين».

هذا، ويقدم فقهاء المسيحيين وباحثوهم شواهد كثيرة تدل على أن هذا الإنجيل موضوع بقلم بعض المسلمين، وأن مؤلفه قد نسبه زوراً إلى برنابا لترويج ما يتضمنه، وكثير مما يقدمه هؤلاء من شواهد لا يقطع بصحة ما يذهبون إليه؛ وإن كان بعض ما يشتمل عليه هذا الكتاب نفسه يحمل على الظن بأنه موضوع، وخاصة ما يقرره من أمور تمثل روايات ذكرها بعض المتأخرين من مؤلفي المسلمين ولا يطمئن إلى مثلها المحققون منهم، كما يقرره عن آدم وأنه لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما ينسبه إلى المسيح من أقوال تمثل تحقيقات الفقهاء والمؤرخين لا كلام الأنبياء كالأقوال التي ينسبها إلى المسيح بشأن الذبيح وما يذكر أن المسيح قد قدمه من أدلة من أنه هو إسماعيل لا إسحاق[1].

والإسلام ليس في حاجة إلى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة لتأييد ما يذكره القرآن عن المسيح وحقيقة ديانته وتبشيره بالرسول. فالقرآن، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو الذي نتخذه دليلاً في الحكم على أناجيلهم المزعومة

---

(1) على الرغم من الشك الذي يدور حول نسبة تأليف هذا الإنجيل إلا أن لغته تختلف في التقديم والتأخير عن اللغة العربية ففيه صفة عامة على أسلوب التعبير من حيث تقديم الاسم على الفعل والركاكة في تركيب الجملة.

ومبلغ تحريفها للإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، ولا ينبغي أن نتخذ سفراً مشكوكاً في صحة نسبته إلى صاحبه دليلاً على ذلك ولا أن نعتمد عليه لإقناع المسيحيين ببطلان ما أقروه في الأناجيل:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: 48).

بقية أسفار العهد الجديد

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة المجموعة الأولى من أسفار العهد الجديد. وهي في نظرهم أهم مجموعاته. أما بقية أسفار هذا العهد فعددها ثلاثة وعشرون سفراً منها سفران منفردان، وهما سفر «أعمال الرسل» للوقا وسفر «رؤيا يوحنا» ومجموعتان من الأسفار: تضم إحداهما أربعة عشر سفراً وهي رسائل بولس؛ وتضم الأخرى سبعة أسفار وهي الرسائل الكاثوليكية. وقد فرغنا فيما سبق من الكلام على مجموعة الأناجيل، وسنتكلم فيما يلي على الأسفار الثلاثة والعشرين الباقية من أسفار العهد الجديد، ونذكرها حسب ترتيبها التقليدي في هذا العهد.

1 ـ سفر «أعمال الرسل» Astes des Apôtres (أو سفر بركسيس Praxis مأخوذة من كلمة يونانية معناها الأعمال). وينسب هذا السفر للقديس لوقا صاحب الإنجيل الثالث الذي تحدثنا عنه وعن إنجيله في الفقرتين الثانية والرابعة من هذا الفصل. وقد كتبه باللغة اليونانية حوالي سنة 63 ميلادية على أرجح الأقوال، أي في العصر نفسه الذي كتب فيه إنجيله. ولا يستأثر هذا الكتاب إلاّ بحيز يسير من العهد الجديد لا يزيد كثيراً على عُشرهِ (يستغرق نحو ثلاثين صفحة من صفحات العهد الجديد البالغة نحو 250 صفحة في إحدى ترجماته بالفرنسية). وموضوعه تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة ممن لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين. فالكلمة الأولى من عنوان هذا الكتاب، وهي كلمة «أعمال»، معناها تاريخ حياتهم أو ما عملوه وما أثر عنهم. والكلمة الثانية من عنوانه، وهي «الرسل»، معناها في اصطلاح المسيحيين الحواريين، لأنهم يعتقدون أن هؤلاء قد أرسلهم الرب وهو عيسى إلى مختلف شعوب العالم لنشر

المسيحية بين الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم؛ وعددهم كما تقدم اثنا عشر حوارياً؛ وقد ضم إليهم فيما بعد الرسول بولس الذي ظهر له المسيح بعد رفعه ـ على حد ما يعتقده المسيحيون ـ وأرسله إلى الأمم الضالة. غير أن هذا الكتاب لا يقتصر على تاريخ الحواريين الأصليين وتاريخ بولس، بل يعرض كذلك، كما قلنا، لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين كبرنابا ومرقص. وهو يتناول شخصياتهم بتفصيل في مختلف شؤون حياتهم، وخاصة ما تعلق منها بالناحية الدينية، كجهادهم وتقلبهم في البلاد لنشر المسيحية، وما أحرزوه من نجاح في هذا السبيل، وما ظهر على أيديهم من معجزات، وما لاقوه من عنت وعذاب واستشهاد. وفي ثنايا هذا العرض التاريخي يتحدث عن كثير من العقائد والشرائع التي كان ينشرها هؤلاء بين الناس. وقد عني لوقا بوجه خاص في كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده في سبيل نشر المسيحية وما ظهر على يديه من معجزات، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه. وتدل العبارة التي افتتح بها لوقا كتابه هذا أنه قد كتبه للشخص نفسه الذي كتب له إنجيلهُ، وهو ثيوفيلوس. فهو يفتتح كتابه بهذه العبارة: «ثيوفيلوس، قد تكلمت في كتابي الأول، (يقصد إنجيله الذي كتبه لهذا العظيم نفسه) على جميع ما فعله المسيح وما قرره من تعاليم منذ نشأته إلى أن رفع إلى السماء، بعد أن أعطى أوامره، عن طريق روح القدس، إلى الحواريين الذين اصطفاهم». ثم يأخذ بعد ذلك في سرد تاريخ الحواريين بعد حادث الصلب فيقول: «وقد ظهر المسيح حياً للحواريين بعد صلبه، وقدم لهم عدة أدلة على صدقه، وظل بينهم أربعين يوماً متحدثاً إليهم بأمور كثيرة عن ملكوت الله...».

ولما كان هذا الكتاب يتفق مع الأناجيل في أن موضوعه الأساسي موضوع تاريخي، لأن الموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ المسيح، والموضوع الأساسي لهذا الكتاب هو تاريخ أنصاره من بعده، لذلك جرت العادة بأن تطلق كلمة «الأسفار التاريخية» على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل. صحيح أن كل سفر من هذه الأسفار يعرض في ثنايا ما يذكر من تاريخ لكثير من شؤون العقيدة والشريعة؛ ولكنه يتناول هذه الأمور عرضاً وبمقدار اتصالها بموضوعه الأساسي وهو التاريخ.

هذا، ويذكر التاريخ المسيحي أسفاراً أخرى قديمة عرضت للموضوع نفسه الذي عرض له هذا الكتاب وسميت باسمه، من أشهرها سفر «أعمال الرسل» لبرنابا. ولكن الكنيسة المسيحية اعتمدت هذا الكتاب وحده. وهو سفر «أعمال الرسل» للوقا؛ ورفضت ما عداه من الأسفار القديمة التي عرضت لموضوعه نفسه وحكمت بزيفها وعدم صحة نسبتها إلى من تنسب إليهم من الحواريين والتلاميذ، أي اعتبرتها من الأسفار الخفية Apocryphes حسب الاصطلاح المسيحي[1]، كما حكمت الحكم نفسه على ما عدا الأناجيل الأربعة من الأناجيل التي كانت معروفة لدى المسيحيين في عهودهم الأولى. ومن أجل ذلك بقي سفر «أعمال الرسل» للوقا وانقرض ما عداه من الأسفار القديمة التي عرضت لما عرض له، فلا يحدثنا التاريخ المسيحي إلا عن أسمائها، ولا نكاد نعلم شيئاً يعتد به عن مبلغ الخلاف بينها وبين سفر لوقا: وإن كان من الممكن أن نستنتج، في ضوء ما ذكرناه عن إنجيل برنابا ومبلغ الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة، أن سفر «أعمال الرسل» الذي ينسب إلى برنابا لا بد أن يكون كذلك مختلفاً في قصصه التاريخي اختلافاً كبيراً عن سفر «أعمال الرسل» للوقا.

(2 ـ 15) رسائل بولس Epitres de Saint Paul وعددها أربع عشرة رسالة كتبها كلها في الأصل باللغة اليونانية في عصور مختلفة تبدأ من نحو سنة 45 وتنتهي حوالي سنة 65، منها عشر رسائل إلى بعض البلاد وبعض الشعوب وأربع رسائل إلى بعض تلاميذه.

أما الرسائل العشر التي أرسلها إلى بعض البلاد وبعض الشعوب فهي: رسالة إلى الرومان؛ ورسالتان إلى أهل قورنتوس Cornthiens؛ ورسالة إلى أهل غلاطيا Galates؛ ورسالة إلى أهل إفسوس Ephésiens؛ ورسالة إلى أهل فيلبي Philippens؛ ورسالة إلى أهل كولوس Colossiens؛ ورسالتان إلى أهل تسالونيكي Thessalonisiens؛ ورسالة إلى العبريين.

وأما الرسائل الأربعة التي أرسلها إلى بعض تلاميذه فهي: رسالتان إلى تلميذه تيموثاوس Timothe؛ ورسالة إلى تلميذه تيطس Tite؛ ورسالة إلى تلميذه فيليمون Philémon.

---

(1) انظر معنى هذه الكلمة في الفقرة السابعة من الفصل الأول من هذا الكتاب، صفحة 23 وتوابعها.

وترتب رسائل بولس في العهد الجديد حسب ترتيبها السابق ما عدا رسالة بولس إلى العبريين فتوضع في آخر هذه الرسائل جميعاً.

وتستأثر هذه الرسائل بأكبر حيز من العهد الجديد، حتى أنها لتستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته (تستغرق نحو 75 صفحة من صفحات العهد الجديد البالغ عددها نحو 250 في إحدى ترجماته إلى الفرنسية).

وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث:

La Trinité: les trois hypostases: le Pére, le Fils; et le Saint Esprit.

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد، وتنسب هذه المسيحية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه. حتى أن كلمة «الرسول» إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده.

صحيح أن الأناجيل نفسها وسفر أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق، ولكنها عرضت لهذه الأمور في صورة مجملة وفي ثنايا قصصها التاريخي عن المسيح وأنصاره. وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته في عبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح. على حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل. وعالجتها في صورة مفصلة واضحة، وكانت صريحة كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته لله وعقيدة التثليث.

هذا، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة 364. أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى بولس عند كثير من المسيحيين، حتى أن مجمع نيقية Concile de Nicée المنعقد سنة 325 وهو من أكبر مجامعهم «المسكونيَّة» oecuméniques (أي التي اجتمع فيها ممثلون لجميع بلاد العالم المسيحي) لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه.

وقد ظهر للمحدثين من علماء المسيحيين المشتغلين في الوقت الحاضر بشؤون ديانتهم وأسفارهم أن من هذه الرسائل ثلاث رسائل موثوق بصحتها وصحة نسبتها إلى

بولس وهي رسالته إلى الرومان ورسالتاه إلى أهل كورنتوس، وأربع رسائل مقطوع بعدم صحة نسبتها إليه وهي رسالته إلى أهل أفسوس ورسالتاه إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس، وأن ما بقي من هذه الرسائل مشكوك في صحة نسبتها إليه.

(16 ـ 22) الرسائل الكاثوليكية les Epotres Catholiques وهي سبع رسائل كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، وكتبت في عهود مختلفة، يرجع أقدمها إلى حوالي سنة 50 وأحدثها إلى سنة 90 بعد الميلاد، منها رسالة للحواري يعقوب الصغير ورسالتان لبطرس كبير الحواريين وثلاث رسائل للحواري يوحنا صاحب الإنجيل الرابع ورسالة للحواري يهوذا أخي يعقوب الصغير. ــ وهي مرتبة في العهد الجديد حسب ترتيبها السابق.

ولا تستأثر هذه الرسائل كلها في العهد الجديد إلا بحيّز يسير لا تزيد نسبته كثيراً على نسبة خمسة في المائة (تستغرق نحو 15 صفحة فقط من صفحات العهد الجديد البالغ عددها 250 صفحة في إحدى التراجم الفرنسية). والرسائل الثلاث الأخيرة من هذه الرسائل وهي الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا، لا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة.

وتعرض هذه الرسائل لبعض نواحٍ من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتُعنى بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة، فهي تتفق إذن في موضوعها مع رسائل بولس، وإن كانت تقل عنها كثيراً في مبلغ استيعابها لهذا الموضوع. ومن أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية اسم «الأسفار التعليمية» للعهد الجديد، وذلك في مقابل أسفار الأناجيل وسفر أعمال الرسل التي يطلق عليه اسم «الأسفار التاريخية» كما تقدم بيان ذلك.

هذا، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة 364. أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك في صحة حقائقها وصحة نسبتها إلى أصحابها عند كثير من المسيحيين، حتى أن مجمع نيقية نفسه، وهو من أكبر مجامعهم «المسكونية»[1] كما تقدمت

(1) أي التي اجتمع فيها ممثلون لجميع بلاد العالم المسيحي.

الإشارة إلى ذلك، لم يعتمد إلا رسالتين اثنتين من هذه الرسائل وهي رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى ورفض ما عداهما.

23 ـ «رؤيا يوحنا» أو «السفر النبوي» أو «التنبؤ»، أو «الأبوكاليس» Apokalupsis (وهي كلمة يونانية الأصل معناها السوحي أو الرؤيا ومنها الكلمة الفرنسية Apocalupse).

وقد كتبها يوحنا صاحب الإنجيل الرابع باللغة اليونانية، وكان تأليفها على أرجح الآراء في عهد الامبراطور دوميسيان Domitien (امبراطور الدولة الرومانية الغربية من سنة 81 إليسنة 96م). وتستأثر في العهد الجديد بمثل الحيز الذي تستأثر به الرسائل الكاثوليكية (نحو 15 صفحة من 250 صفحة).

وهي رؤيا منامية رآها الرسول يوحنا وأوحي إليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية وأحداث المستقبل. ويرجع أهم ما تشتمل عليه هذه الرؤيا إلى الأمور الآتية[1]:

1 ـ تقرر ألوهية المسيح. وهي تصوره في عليائه تارة وفي صورة شيخ أشيب متمنطق عند ثدييه بمنطقة من ذهب، وتقدح عيناه بالشرر، ويحمل في يده سبعة كواكب، ويخرج من فيه سيف ماض ذو حدين[2]، وتارة تصوره في صورة خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين[3].

2 ـ تقرر سلطان المسيح في السماء وإشرافه في عليائه على شؤون الكنيسة وعلمه بجميع أحوالها والقوامين عليها، وتبين أعمال الملائكة في السماء وخضوعهم للمسيح.

3 ـ تقرر أن الناس سيبعثون يوم القيامة ويعرضون على المسيح، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

4 ـ تذكر طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني على العموم وفي العالم المسيحي بوجه خاص، وتذكر هذه الأحداث في صور رمزية مبهمة. ومن ذلك خبر

---

(1) اختص الله سبحانه أنبياءَهُ بالوحي الخاص بالرسالات ولم يختص غيرهم فرؤيا يوحنا ليست إلاَّ منامات أو تخيّلات ليس لها علاقة بوحي أو برسالة سماوية وخاصة أنها تؤله المسيح وحاشى لله أن يوحي لنبي أو رسول بأن يكون أحد البشر إلهاً.

(2) انظر فقرات 12 ـ 16 من الإصحاح الأول من رؤيا يوحنا.

(3) انظر فقرات 1 ـ 7 من الإصحاح الأول من رؤيا يوحنا.

الدابتين الغريبتين اللتين ستخرجان قبيل قيام الساعة، تخرج إحداهما من الأرض والأخرى من الماء، وتكلمان الناس[1].

هذا ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة إلا في سنة 363، أما قبل ذلك فكانت هذه الرسالة موضع شك كبير في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري عند كثير من المسيحيين، حتى إن مجمع نيقية نفسه المنعقد سنة 325 وهو من أكبر مجامعهم «المسكونية»[2] رفض الاعتراف بصحتها. وقد تقدم أن عدداً كبيراً من ثقات الباحثين في الوقت الحاضر يقطع بأن جميع ما ينسب إلى يوحنا من أسفار العهد الجديد بما في ذلك إنجيل يوحنا نفسه هي أسفار موضوعة ومنسوبة زوراً إلى يوحنا الحواري[3].

تطور العقيدة المسيحية
واستقرارها أخيراً على التثليث

اجتازت العقيدة المسيحية مرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة 425م؛ والمرحلة من مجمع نيقية إلى الوقت الحاضر. وسنتكلم على كل مرحلة منهما على حدة:

المرحلة الأولى: من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة 425م:

كانت المسيحية في فاتحة هذه المرحلة ـ كما ينبئنا القرآن ـ ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد، وتقرر أن المسيح إنسان من البشر أرسله الله تعالى بدين جديد وشريعة

---

(1) أشار القرآن الكريم إلى خبر هذه الدابة إذ يقول: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (آية 82 من سورة النمل).

(2) انظر معنى هذه الكلمة في تعليق 75.

(3) انظر آخر الفقرة الرابعة من هذا الفصل. ـ هذا وقد وقف العلامة ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» فصلاً كبيراً على بيان ما تشتمل عليه رسائل بولس، والرسائل الكاثوليكية، وأعمال الرسل، ورؤيا يوحنا، من كذب وتناقض وتحريف؛ وجعل عنوانه «ذكر ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس».

جديدة كما أرسل رسلاً من قبله، وأن الإرهاصات التي سبقت بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته هي من نوع الإرهاصات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله، وأن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصاً من هذه الإرهاصات، وأن أمه صديقة من البشر قد كرمها الله فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح.

ولكن لم تمضِ بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية، وافدة إليها أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من رواسب ديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية والتي احتكَّ بأهلها المسيحيون.

فانقسم حينئذٍ المسيحيون إلى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله؛ وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد. وضمَّت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقاً كثيرة:

أ ـ فمن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها في هذه المرحلة فرقة المرقيونيين وفرقة البربراني وفرقة الألبانية وفرق التثليث:

1 ـ أما فرقة «المرقيونيين» فإنها تنسب إلى مرقيون أو مرسيون Marcion وهو من رجال القرن الثاني الميلادي. وكان قسيساً، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين: أحدهما الإله العادل Dieu Juste أو الإله ديميورج Démiurge أي الخالق والمهندس، وهو الإله الذي اتخذ من بني إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة، والآخر الإله الخير Dieu Bon الذي ظهر متمثلاً في المسيح وخلص الإنسانية من خطاياها. وقد كان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه.

ومن ثم يقوم هذا المذهب على اطِّراحِ العهد القديم (كتب اليهود المقدسة) في جملته وتفاصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد، وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس، لا يعترف بها إلا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها

ومدلولاتها الأولى. ويقال إنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص كما سبقت الإشارة إلى ذلك[1].

ولعل هذا المذهب متأثر بالديانة الزرادشتية الفارسية في مراحلها الأخيرة. فقد انتهى الأمر بالزرادشتيين إلى الاعتقاد بوجود إلهين، إله للخير وكانوا يسمونه أهورا مزدا، وإله للشر وكانوا يسمونه أهريمان، كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

ومن أهم ما تختص به هذه الفرقة في شؤون الشريعة أنها حرَّمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفْرادِ نحلتها، كما فعلت فرقة الأسينيين من اليهود من قبل. فكانت فرقة المرقيونيّن توجب على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن زوجه. وبدون ذلك ما كان يمكن قبوله ولا تعميده.

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فإنه قد انتشر وتبعه خلق كثير في إيطاليا وأفريقيا ومصر، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث، أي حتى انتهاء المرحلة التي نتحدث عنها. ثم أخذ يضمحل ويتناقص أتباعُه تناقُصاً كبيراً، ولكنه لم ينقرض انقراضاً تاماً إلا في حوالي القرن العاشر الميلادي.

2 ـ وأما فرقة «البربرانية» فكانت تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً. ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول: «ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية. ويسمون الريميتيين». ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى بن مريم إذ يقول:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة: 116)، وإذ يرد عليهم في قوله:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ

(1) انظر الفقرة السابعة من هذا الفصل.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: 75).

هذا، وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض كذلك في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها، وإن كان يبدو من ذكرها في القرآن أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام (القرن السابع الميلادي).

ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتنقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت.

3 ـ وأما فرقة إليان فيؤخذ مما ذكره في صددها ابن البطريق والشهرستاني في الملل والنحل أنها كانت تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله وتصور حقيقته وحمل أمه به وقصة صلبه في صورة خاصة، فتذهب إلى أن مريم لم تحمل به كما تحمل النساء بالأجنة وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة (الابن) دخلت من أذنها، وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد، وأن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين إنما هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، فلم يكن المسيح جسماً متجسماً كثيفاً في الحقيقة. وكذلك القتل والصلب، فإنهما وقعا على الخيال والظن لا على الحقيقة.

وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها. وإن كان يبدو مما ذكره الشهرستاني في صددها إذ يقول: وهؤلاء يقال لهم الألبانية، وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية»[1]، أنه كان لا يزال لهذه الفرقة أتباع في عصره (القرن السادس الهجري والثالث عشر الميلادي).

4 ـ وأما فرقة التثليث وألوهية المسيح فهي الفرقة التي تذهب إلى أن الإله ثلاثة أقانيم وهي الآب والابن وروح القدس، وأن الابن أو الكلمة هو المسيح. وكانت كنيسة

(1) الشهرستاني، الملل والنحل، ص227 الجزء الأول، طبعة مصطفى الحلبي 1961.

الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي المقرر لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقية سنة 325م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة 381. ولذلك سنرجئ الكلام على تفاصيله إلى أن يحين الكلام على المرحلة الثانية التي اجتازتها الديانة المسيحية.

ب ـ ومن أهم الفرق التي ظلت عقائدها محافظة على التوحيد فرقة أبيون وفرقة بولس الشمشاطي وفرقة أريوس.

1 ـ أما فرقة أبيون أو الأبيونيُّونَ Ebionites (أتباع أبيون Ebion) فكانت تقر جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول. وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية. وقد عرضنا له في الفقرة السابعة من هذا الفصل. وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في أواخر المرحلة التي نتحدث عنها، وتم انقراضها في أواخر القرن الرابع الميلادي.

2 ـ وأما فرقة الشمشاطي فهم أتباع بولس الشمشاطي Paul de Somosate وكان بولس الشمشاطي هذا أسقفاً لأنطاكية Antioche منذ سنة 260م. وأنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول. وقد عقد بأنطاكية من سنة 264 إلى سنة 269 ثلاثةَ مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده. وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي. ويذكر ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» عن بولس هذا «أنه كان بطريركاً بأنطاكية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا ألوهية فيه. وكان يقول لا أدري ما الكلمة (أي الابن) ولا روح القدس». ويقول ابن البطريق في بيان مذهبه: «إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديماً... ويقولون إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد

ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وهم البوليقانيون».

3 ـ وأما الأريوسيون فهم أتباع أريوس Arius. وكان أريوس هذا قسيساً في كنيسة الإسكندرية، وكان داعياً قوي التأثير، واضح الحجة، جريئاً في المجاهرة برأيه. وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للآب، فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً و ابناً لله إنما هو بشر مخلوق L'Arionisme وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح. ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول: «كان يقول إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب حيثما لم يكن الابن». وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي. وعلى رأسها ميليتوس، وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون، كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونية والقسطنطينية، وذلك على الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تأل جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة.

ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقية سنة 325 بطرد أريوس وكفره وأصدر قراره بألوهية المسيح كما سيأتي بيان ذلك. ومازال يضمحل ويتناقص عدد أتباعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي.

المرحلة الثانية: من مجمع نيقية سنة 425م إلى الوقت الحاضر:

في سنة 425 م أمر قسطنطين إمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع ديني مسكوني Oucuménique أي يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي للفصل في أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه، ولبيان أي الرأيين يتفق مع الحق، ولتقرير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح، ولاتخاذ ما ينبغي اتخاذه من قرارات أخرى في شؤون العقيدة والشريعة. فاجتمع في نيقية Concile de Nicée ثمانية وأربعون وألفان من

الأساقفة، ولكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً ولم يستطيعوا الإجماع على رأي. ويظهر أن قسطنطين كان يجنح للرأي القائل بألوهية المسيح، فاختار من بين المجتمعين ثمانية عشر وثلثمائة من أشد أنصار هذا المذهب، وألف منهم مجلساً خاصاً وعهد إليهم أمر الفصل في هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى في شؤون العقيدة والشريعة، على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يجب أن يعتنقه جميع المسيحيين. فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بإثبات ألوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان، وتحريق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها. وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه بطريرك الإسكندرية. ويذكر ابن البطريق نص هذا القرار في العبارة الآتية: «إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم (أي تحكم بالحرمان والطرد) كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لاشيء، أو من يقول الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب، وكل من يقرّ أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغير».

ولم يعرض مجمع نيقية للعنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة المسيحية الحاضرة وهو «روح القدس» ولم يبين حقيقة طبيعته أهو إله أم مخلوق. ومن ثم نشب خلاف كبير بين المسيحيين حول هذا الموضوع. وظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس بإله وإنما هو محدث مخلوق. وكان من أشهر هذه الفرق أتباع مقدونيوس Macedonius الذي كان بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي. فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة 381 م مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول. وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً. وانتهى المجمع بإقرار الرأي القائل بألوهية الروح القدس. وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا الرأي، كما كانت من أشدها تعصباً للرأي القائل بألوهية المسيح. ولذلك كان لأقوال بطريرك الإسكندرية والحجج التي أدلى بها في هذا المجمع أثر كثير في توجيهه إلى هذا القرار. ويصف ذلك ابن البطريق فيقول: «قال تيموثاوس بطريرك الإسكندرية في هذا المجمع: ليس روح القدس عندنا

بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا، ومن كفر به وجب عليه اللعن... واتفقوا على لعن مكدونيوس، فلعنوه هو وأشياعه، ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته». ويوضح ابن البطريق نص القرار الذي اتخذه هذا المجمع بشأن ألوهية روح القدس في العبارة الآتية: «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية (يشير إلى ما قرره مجمع نيقية الأول بشأن ألوهية المسيح) الإيمان بروح القدس الرب المحيي...

وثبّتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم»،

وقد لخص عقيدة التثليث التي انتهت إليها قرارات المجمعين السابقين وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبعثه ورفعه إلى السماء ومحاسبته الخلْق يوم القيامة نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه سوسنة سليمان إذ يقول: «إن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي[1]، هي الإيمان:

1 ـ بإله واحد، أب واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، صانع ما يرى وما لا يرى.

2 ـ وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وصلب حياً على عهد بيلاطس Pilate[2] وتألم وقبر، وقام من

(1) كان ينبغي أن يقول: «والمجمع القسطنطيني الأول»، لأن ألوهية روح القدس لم تتقرر إلا في هذا المجمع.

(2) الوالي من قبل الدولة الرومانية على فلسطين حينئذ.

الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه؛.

3 ـ والإيمان بروح القدس الرب المحيي...».

ولخصه الشهرستاني في العبارة الآتية: وهي لا تختلف كثيراً عن العبارة السابقة:

«نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء، وصانع كل ما يرى وما لا يرى؛ وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء من أجلنا، ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً، وحبل به، وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام بيلاطوس ودفن، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء؛ ونؤمن بروح القدس الواحد... وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية (كاثوليكية) وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين».

وبذلك تقرر التثليث في الديانة المسيحية، وأصبح هو العقيدة الرسمية التي يجب أن يعتنقها كل مسيحي، ويحكم بكفر من يقول بغيرها، وأخذت المذاهب المسيحية الأخرى التي كانت منتشرة عند بعض الفرق المسيحية في المرحلة الأولى، والتي أشرنا إليها فيما سبق، تتلاشى شيئاً فشيئاً، ويتضاءل عدد أتباعها، حتى انقرضت كل الانقراض، سواء في ذلك مذاهب الفرق التي كانت محافظة على التوحيد، أم مذاهب الفرق التي انحرفت عن التوحيد إلى عقائد أخرى غير عقيدة التثليث. ولا نجد الآن أية كنيسة مسيحية ولا أية فرق من المسيحيين لا تقول بالتثليث. ـ ولكنهم، جميعاً، مع ذلك يسترون وراء كلمات التوحيد، فيقولون «تثليث في وحدية» أو «وحدية في تثليث»، مع أنه لا يمكن أن يكون التثليث وحدانية ولا الوحدانية تثليثاً: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (المائدة: 53).

المصادر الأولى لعقيدة التثليث

ويظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلوطينية الحديثة Philosophie néo-platonicinenne. وذلك أن أفلوطين Plotin زعيم مدرسة الإسكندرية، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلوطينية الحديثة (وهو من رجال القرن الثالث الميلادي ـ ولد سنة 205 وتوفي 270م) كان يرى، فيما يتعلق بالكون ومنشئه، أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض، وليس فكراً كفكرنا ولا إرادة كإرادتنا، يتصف بكل كمال يليق به، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتاج هو إلى موجد، وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه، ولهذا العقل قوة الإنتاج، ولكن ليس كمن يولد عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء.

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى. وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك، إذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذي ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

ومن الممكن كذلك أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة. وذلك أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة، وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته، وذلك أنها تقرر أنَّ الإله براهما كان قبل الوجود، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق. ثم انبثق منه الإله سفا Civa وهو الإله المدمر الموكل بالخراب والفناء، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهنَّ. ولهذا انبثق من براهما الإله إله

ثالث حافظ مجدد هو الإله فيشنو Vichnou. وسنعرض لهذه الديانة بشيء من التفصيل عندما يحين موعد الكلام عليها في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

ويظهر أن فكرة الخلاص بتقديم الإله نفسه فداء لتكفير خطيئة أزلية متلبسة بها الإنسانية قد انتقلت إلى المسيحية من الديانات الهندية كذلك. فالبرهميون يعتقدون أن «كريشنا» وهو الإله «فيشنو» قد خلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه، ويصورون فيشنو مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنْسانِ معلَّقاً. ــ ويعتقد البوذيون مثل ذلك في بوذا، حتى إنَّهم ليسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلص العالم. ويقولون: إنه إله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر.

نشأة اختلافات فرعية بين طوائف المسيحيين في مسائل العقيدة

تقرر التثليث إذن في الديانة المسيحية على الوجه الذي سبق بيانه، وأجمع على اعتناقه المسيحيون جميعاً. غير أنهم مع إجماعهم على هذه العقيدة، قد اختلفوا فيما بينهم في أمور فرعية أخرى من عقائدهم وانقسموا إلى طوائف كثيرة، وأعطت كل طائفة لنفسها، نتيجة لهذا الاختلاف، لقباً خاصاً بها. ولكنها ما كانت تخرج في ذلك عن أحد لقبين وهما الكاثوليكية والأرثوذكسية[1].

فاختلفوا في طبيعة المسيح: هل طبيعته طبيعة واحدة لأنه إله، أم أن له طبيعتين طبيعة إلهيّة وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً (فقد جاء من مريم، ومريم من البشر) فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم.

---

(1) كلمة كاثوليك Catholique مأخوذة من كلمة يونانية Katholikos بمعنى العام أو العالمي أي أنها الديانة العامة. وكلمة أرثوذكس Ortodoxe مأخوذة من كلمتين يونانيتين وهما Orthos بمعنى الحق أو المستقيم و doxa بمعنى الرأي أو المذهب، فمعناها المذهب الحق أو المستقيم. وقد جاء انشعاب المسيحيين إلى هاتين الطائفتين نتيجة لاختلافهم في الأمور الفرعية المتصلة بالعقيدة وفي أمور أخرى تتصل بالشرائع والعبادات. وسنعرض في هذه الفقرة لأهم وجوه الخلاف بينهم في فروع العقيدة، وفي الفقرة التالية لأهم وجوه الخلاف بينهم في الشرائع والعبادات.

وقد أخذت بالمذهب الأول وهو أن للمسيح طبيعةً واحدة، وهي الطبيعة الإلهية، ثلاثُ كنائس صغيرة من الكنائس التي سمت نفسها الأرثوذكسية:

إحداها الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة (وتسمّي نفسها كذلك الأرثوذكسية المرقسية نسبة إلى الرسول مرقس صاحب الإنجيل، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول، ويُعطى رئيسها لقب «رئيس الكرازة المرقسية وبطريرك مصر وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا». ومع أن مسيحيي الحبشة خاضعون لرياسة الكنيسة المصرية المرقسية فإنهم قد استقلوا أخيراً بعض الاستقلال في شؤونهم الدينية، وثالثها الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية. ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فإنهم يختلفون عنهما في بعض التقاليد والطقوس، ولهم بطاركة يرأسونهم، ولا يندمجون مع الكنيسة السريانية ولا مع الكنيسة المصرية. وبذلك انفصلت هذه الكنائس الثلاث عن بقية كنائس المسيحيين. وقد لخص هذا المذهب صاحب كتاب «خلاصة تاريخ المسيحية في مصر» في العبارة الآتية: «إن كنيستنا المستقيمة الرأي (هذه ترجمة لكلمة الأرثوذكسية)، ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني أقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، مصيّراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال. بهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة».

وقد أقر هذا المذهب معظم المجتمعين في مجمع إفسوس الثاني Ephese الذي انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي، واكتسب قوة بعد أن انتصر له في القرن السادس الميلادي داعية قويّ الحجة، بليغ الأثر، جريء في الجهر برأيه، اسمه يعقوب البرادعي Jacob Barados، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم المذهب اليعقوبي وعلى أنصاره اسم اليعاقبة أو اليعقوبيين، وإن كان هذا المذهب قد نشأ قبل ظهور يعقوب البرادعي بأمد طويل، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأي معظم المجتمعين في مجمع إفسوس الثاني الذي انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي كما تقدم.

وأخذت بالمذهب الآخر، وهو أن للمسيح طبيعتين إلهية وطبيعة إنسية، أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت، جميع الكنائس الأخرى. وقرر هذا المذهب في صورة حاسمة في مجمع خليكدونية Calcedoine المنعقد سنة 451، فقد انتهى هذا المجمع بعد خلاف كبير بين أعضائه إلى القول بأن للمسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحده التقتا في المسيح ويلخص ابن البطريق قرار مجمع خليكدونية إذ يقول: «قالوا إن مريم العذراء ولدت إلهاً ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد... ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بإفسوس» (أي مجمع إفسوس الثاني الذي قرر معظم أعضائه أن المسيح طبيعة واحدة كما سبق بيان ذلك، وتسمية الكنيسة الكاثوليكية «مجمع اللصوص»).

وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الامبراطور الروماني، بل إنه هو الذي عمل على اجتماع مجمع خليكدونية لينتهي إلى تقرير هذا الرأي في صورة حاسمة. ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكي أو الملكاني نسبة إلى الملك أي امبراطور روما. وقد أخطأ الشهرستاني إذ قرر أن هذا المذهب ينسب إلى شخص اسمه «ملكا»[1].

ومن قبل مجمع خليكدونية كان هذا المذهب قد تقرر، وإن لم يكن في صورة حاسمة، في مجمع آخر هو مجمع إفسوس الأول الذي انعقد سنة 431م للفصل في أمر نستور وبدعته (وكان نستور هذا Nastorius بطريرك القسطنطينية سنة 428م ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين). فقد ذهب نستور إلى القول بأن مريم العذراء لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً لأن الإله وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة الابن. فللقضاء على هذا المذهب الذي ينكر ألوهية المسيح من أصلها وإن كان يقول بالأقانيم الثلاثة انعقد مجمع إفسوس الأول سنة 431 وقرر لعن نستور وطرده، وكتب معظم أعضائه صحيفة قرروا فيها أن «مريم العذراء ولدت إلهنا وربنا يسوع المسيح، وأن المسيح إله حق وإنسان ذو طبيعتين».

---

(1) انظر ص 222 من الجزء الأول من الشهرستاني «الملل والنحل» طبعة مصطفى الحلبي سنة 1961، وانظر تعليقنا رقم 752 بصفحة 661 من الجزء الثاني من مقدمة ابن خلدون طبعة دار نهضة مصر.

غير أن النسطوريين قد انحازوا في عصورهم الأخيرة إلى الرأي القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت، أي إلى القول بالطبيعتين، فانحرفوا بذلك عن المذهب الأصلي لزعيمهم، وأصبحوا متفقين في ذلك مع الكنيسة الكاثوليكية. ويقيم معظمهم الآن في بلاد العراق وخاصة الموصل.

وقد ظلت الكنائس التي تقول بالطبيعتين متحدة في جميع آرائها المتعلقة بشخص المسيح إلى أن ظهر في القرن السابع الميلادي (سنة 667) يوحنا مارون، فذهب إلى أن المسيح، مع أنه ذو طبيعتين، له مشيئة واحدة وإرادة واحدة وهي المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد إلهي وهو الابن أو الكلمة. وقد شايعه في هذا الرأي بعض مسيحيِّي آسيا. ولم ترق هذه المقالة في نظر بابوات روما ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية، فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعاً ليقرر أن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين بعد أن استوثقوا من أن الامبراطور يشاركهم هذا الرأي، فاجتمع لذلك مجمع القسطنطينية السادس سنة 680م وكان مؤلفاً من 289 أسقفاً وانتهى إلى إصدار قرار بكفر يوحنا مارون ولعنه وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة، وقرر «أننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الإله في أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تاماً بناسوته تاماً بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح، بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد... فهو ما يشبه الإنسان أن يعمله في طبيعته وما يشبه الإله أن يعمله في طبيعته... وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين».

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب الماروني القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة، فأخذوا يفرون بدينهم من بلد إلى بلد إلى أن انتهى بهم المطاف في جبل لبنان، واشتهروا بلقب المارون. وظلوا مستقلين في شؤونهم الدينية إلى أن قربتهم إليها كنيسة روما فأعلنوا في سنة 1182 الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة. ولا تزال هذه الطائفة متوطنة في جبل لبنان، وإن كان قد هاجر منها عدد كبير إلى قارة أمريكا وغيرها، ولها بطريرك خاص، وإن كان يقر بالرياسة لبابا الكنيسة الكاثوليكية بروما.

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة في آرائها إلى أن نشب بينها في منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذي انبثق منه روح القدس. فذهبت بعض الطوائف إلى أن انبثاق روح القدس كان من الآب وحده، وذهب بعضها الآخر إلى أن انبثاقه كان من الآب والابن معاً.

وكان على رأس المنادين بالرأي الأخير، وهو أن روح القدس منبثق من الآب والابن معاً، رئيس كنيسة روما. وقد عقد لذلك في سنة 869 مجمع في القسطنطينية، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب والابن معاً. واشتهر هذا المجمع باسم «المجمع الغربي اللاتيني».

وكان على رأس المنادين بالرأي الأول، وهو أن روح القدس منبثق من الآب وحده، بطريرك القسطنطينية، وقد عقد بدوره مجمعاً آخر في القسطنطينية سنة 879، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب وحده. واشتهر هذا المجمع باسم «المجمع الشرقي اليوناني».

وكان سبباً في انقسام الكنائس القائلة بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيستين:

(إحداهما) **الكنيسة الشرقية اليونانية**، ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرثوذكسية، وهي التي يذهَبُ أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده. والمشايعون لها أكثرهم في الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها، ولهم بطاركة أربعة: أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم؛ ويليه بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس، ثم بطريك أنطاكية؛ ثم بطريرك القدس. وثم مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لمجامع وأسقفيات مستقلة كالمجمع الروسي، وأسقفية أثينا وأسقفية قبرص (التي كان يتولى رئاستها الأسقف مكاريوس، وكان في الوقت نفسه رئيس الدولة).

(ثانيهما) **الكنيسة الغربية اللاتينية**، ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط، وكنيسة روما، والكنيسة الكاثوليكية، وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو كنيسة بطرس لأن مشايعيها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول بطرس كبير الحواريين، وأن بابواتها خلفاؤه من بعده (ورئيسها في الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان)، وهي التي تذهب إلى أن روح

القدس منبثق عن الآب والابن معاً. والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وإسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة. وحتى في البلاد التي يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرثوذكسية يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما. وحتى في مصر نفسها يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون هذه الكنيسة ويرأسهم بطريرك (ورئيسهم الحالي الكردينال أسطفانوس الأول سيداروس بطريرك الأقباط الكاثوليك). ويبلغ عدد الكاثوليك التابعين لهذه الكنيسة الآن زهاء ستمائة مليون.

ولما أحيط به رئيس كنيسة روما من تقديس بين مشايعيه وعند الملوك ورؤساء الدول، ولكثرة معتنقي مذهبه، تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان. ـ وتتابع وكنيسة روما في عهد رئيسها الحالي سنة 1981 ورئيسها السابق له ما سار عليه رئيسها الأسبق من العمل على التقريب بين الكنائس المسيحية جميعاً وخاصة بينها وبين الكنيسة الشرقية التي تعتبر أكبر كنيسة بعد كنيسة روما، وقد عقد بابا روما سنة 1963 مجمعاً مسكونياً كان من أهم أغراضه تحقيق الوحدة المسيحية والتقريب بين كنائس المسيحيين، وخاصة بين الكنيستين الكبيرتين الغربية والشرقية.

وخلاصة ذلك أن الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة والكنيستان الأرثوذكسيتان الأرمنية والسريانية قد انفصلت عن بقية الكنائس لقولها بالطبيعة الواحدة للمسيح (طبيعة واحدة إلهية)، وأن كنيسة المارونيين بلبنان قد انفصلت كذلك عن بقية الكنائس لقولها بالمشيئة الواحدة أي أن المسيح وإن كان له طبيعتان ليست له إلا مشيئة واحدة هي المشيئة الإلهية، وأن من عدا هؤلاء وأولئك من طوائف المسيحيين يقولون بالطبيعتين والمشيئتين، وهم القسم الأكبر من المسيحيين.

غير أنهم مع اتفاقهم في القول بالطبيعتين والمشيئتين قد اختلفوا فيما يتعلق بالأقنوم الذي انبثق منه روح القدس أهو الآب وحده أم الآب والابن معاً. وانقسموا لذلك إلى كنيستين: الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكس التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب وحده؛ والكنيسة الغربية اللاتينية التي يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب والابن معاً.

اختلاف فرق المسيحيين
في مسائل الشرائع والعبادات

هذا وكان كل خلاف يحدث بين فرق المسيحيين في هذه الأمور الفرعية المتصلة بالعقائد يصحبه وينضم إليه بمرور الزمن خلاف في بعض الأمور المتصلة بالشرائع والعبادات.

فمن ذلك مثلاً أن الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية قد تجاوز شؤون العقيدة السابق ذكرها إلى أحكام العبادة والتشريع، وشمل اختلافهما في هذه الأحكام أموراً كثيرة نذكر من أمثلتها ما يلي:

1 ـ حافظت الكنيسة الشرقية فيما يتعلق بالمحرمات من المأكولات على الرأي الذي استقر عليه مجمع أورشليم الأول المنعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة والذي أشرنا إليه فيما سبق[1] فحرمت الدم ولحم المنخنقة، بينما أجازتهما الكنيسة الغربية.

2 ـ من عبادات المسيحيين ما يسمونه العشاء الرباني، هو الذي ورد ذكره في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى إذ يقول.. «وبينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز، وبعد أن باركها كسرها وأعطاها لتلاميذه وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ كأساً (من الخمر) وبعد أن باركها أعطاها لهم وقال اشربوا جميعاً من هذه الكأس، فهذا هو دمي دم العهد الذي يسفك من أجل كثير لمحو الخطايا»[2]. وقد جرى المسيحيون على محاكاة هذا العشاء في بعض أعيادهم على الأخص، ويعتبرون ذلك من أهم عباداتهم.. وجرت العادة أن تعد الكنائس خبزاً وخمراً بطقوس خاصة ليتناولها المصلون. ويعتقدون أن الخبز والخمر قد أصبحا بعد إعدادهما على هذه الصورة أجزاء من جسد المسيح ودمه. فالخبز أصبح قطعة من جسده والخمر أصبح قطرات من دمه. وبذلك يمتزج لحم المسيح ودمه بلحم

---

(1) انظر رقم 4 من فقرة 1 من هذا الفصل.

(2) فقرات 26 ـ 28 من إصحاح 26 من إنجيل متى.

من يتناولها وبدمه، ويدعو تناولها إلى تذكر الرب وما حدث له لتخليص الإنسانية من خطاياها واستحضار مجيئه يوم القيامة ومحاسبته للناس. فهو في نظرهم امتزاج بالعنصر الإلهي من جهة وتذكر للماضي وتخيل واستحضار للمستقبل من جهة أخرى[1]. وبذلك يصرح القرار الذي صدر من مجمعي ترنت المنعقدين سنتي 1545 و1563 Concile de Trente إذ يقول: «قد اعتقدت كنيسة الله دائماً بأنه بعد التقديس يوجد ربُّنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر.. لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل، كما أنه هو أيضاً تحت شكل الخمر وجميع أجزائه. وقد اعتقدت الكنيسة أيضاً اعتقاداً ثابتاً بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر إلى جوهر دمه...».

فالكنيسة الشرقية تحافظ على حرفية النص السابق في إنجيل متى فتوجب استخدام الخبز في العشاء الرباني؛ بينما تبيح الكنيسة الغربية استبدال الفطائر بالخبز.

3 ـ ويحرم المذهب الكاثوليكي الطلاق تحريماً باتاً، ولا يبيح فصم الزواج لأي سبب مهم عظم شأنه. وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد في نظره مبرراً للطلاق. وكل ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسمية ـ بحسب تعبيرهم ـ بين شخصي الزوجين seoaratin des corps مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية، فلا يجوز لواحد منهما في أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه على شخص آخر. ويعتمد المذهب الكاثوليكي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول:

---

(1) يظهر أن قصة هذا العشاء محرفة عن قصة المائدة التي ذكرها القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾. ـ هذا وقد ورد في إنجيل متى (فقرات 15 ـ 21 من إصحاح 14) ذكر لمائدة أخرى كانت معجزة لعيسى. فقد بارك خمسة أرغفة وسمكتين فأكل منها خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال حتى شبعوا جميعاً، وملأ ما بقي من فضلات طعامهم اثنتي عشرة سلة. فلعل هذه المائدة الأخيرة هي التحريف لما ورد في القرآن.

«لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعة الله»، على حين أن المذهب الأرثوذكسي يبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية من الزوج أو الزوجة مع تحريمه الزواج على المطلق والمطلقة بعد ذلك. ويعتمد المذهب الأرثوذكسي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول: «من طلق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها تزني»[1].

المذهب البروتستانتي

في أوائل القرن السادس عشر ظهر في العالم المسيحي، بجانب النحل السابق ذكرها، نحلة جديدة أطلق عليها اسم البروتستانتية protestantisme أي نحلة الاحتجاج أو الاعتراض وأطلق على معتنقيها اسم البروتستانت Protestants أي المحتجّين أو المعترضين. وقد دعا إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شؤون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها، وما أحدثته من بدع، ومسلك قسيسيها والقوامين عليها، وإلى تحكمها في تفسير كل شيء، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشؤون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك.

فمن ذلك ما اتخذه مجمع لاتيران الرابع المنعقد سنة 1215 Coincile de Latiran بشأن الهراطقة إذْ أباح للكنيسة استئصالهم وكانوا يعنون بالهراطقة كل من يرى رأياً يخالف رأي الكنيسة ولو كان في أمور تتعلق بشؤون السياسة ونظم الحكم أو بمسائل العلوم كظواهر الفلك والطبيعة والأحياء. وقد نفذ ذلك القرار بالفعل في كثير من دعاة الإصلاح في الدين وممن خالفوا آراء الكنيسة في شؤون السياسة ومسائل العلوم. فكان يحكم عليهم بالإعدام رجماً أو حرقاً ويحرق معهم ما عسى أن يكون لهم من بحوث ومؤلفات. وأنشئ لمحاكمة الهراطقة والمخالفين لآراء الكنيسة في الشؤون الدينية وغيرها

---

(1) عرضنا فيما سبق لهذا الموضوع وأوضحنا مبلغ مجافاة هذه الأحكام لشؤون العمران، (انظر ما ذكرنا في هذا الصدد في فقرة 6 من هذا الفصل). وقد درسنا هذا الموضوع بشيء من التفصيل مع الموازنة بين موقف المسيحية في هذا الصدد وموقف الإسلام في كتابنا «حقوق الإنسان في الإسلام» وفي كتابنا «بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق في الإسلام» وفي كتابنا «المرأة في الإسلام».

وللمزاولين لأعمال السحر محاكم خاصة اشتهر معظمها باسم «محاكم التفتيش» وراح ضحية تفتيشها وتحقيقاتها الغريبة آلاف من الأنفس أخذ معظمهم بالظنة والوشاية والكيد. وحتى الملوك أنفسهم لم يكونوا بمنجاة من هذا العسف. فقد حكمت الكنيسة على بعضهم بالطرد والحرمان لجنوحهم لمخالفتها والخروج على طاعتها في بعض الشؤون.

ومن ذلك ما سارت عليه كنيسة روما من فرض إتاوات وضرائب باهظة على التابعين لها، وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الإتاوات والضرائب على الشؤون المسيحية العامة، ومعظمه كان يتوزعه رجال الكنيسة بينهم وينفقونه في شؤون ترفهم وشهواتهم.

ومن ذلك تحريم الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج، وما أدى إليه ذلك التحريم من انتشار الفسق والفجور بين رجالها ونسائها، حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ويبرِّرون ذلك بأنه ضرب من «المساكنة الروحية».

ومن ذلك ما كانت تذهب إليه الكنيسة بصَدَدِ «العشاء الرباني» من تفسيرات غريبة لا يسيغها عقل سليم، إذ تزعم أن الخبْزَ والخمر اللذين تعدهما ليتناولها المصلون في بعض الأعياد على الأخص يستحيلان إلى أجزاء من جسم المسيح ودمه كما سبق بيان ذلك[1].

ومن ذلك ما اتخذه أحد مجامعهم بشأن غفران الذنوب. فقد قرر أن من حق رجال الكنيسة الكاثوليكية أن يغفروا للمسيء ذنوبه في حالة احتضاره وفي حالة صحته، وأن يغفروا ما تقدم منها وما تأخر. وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية إفراطاً كبيراً في استخدام هذا الحق، حتى لقد أنشؤوا صكوكاً للغفران تُباع وتشترى، واتخذتها الكنيسة مورداً هاماً لكسب المال، فلم يستكثر الناس بذل الأموال في الحصول عليها مادامت تكفل لهم غفران ما ارتكبوه وما يرتكبونه من معاصٍ وآثام. وفيما يلي نص هذا الصك الغريب.

---

(1) انظر رقم 2 من الفقرة السابقة (فقرة 12).

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة. وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وكذلك من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر[1]، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك[2]، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العقاب والعذاب، ويفتح الباب الذي يؤدّي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن وروح القدس».

لهذه الأسباب وأسباب أخرى كثيرة من هذا القبيل ظهر في القرن السادس عشر دعاة للإصلاح الديني وتخليص المسيحية من هذه الأدران، وتكونت من إصلاحاتهم نحلة جديدة هي النحلة البروتستانتية. وكان على رأس هؤلاء المصلحين مارتن لوثر الألماني Martin Luther وزونجلي السويسري Zwingli وكلفن الفرنسي Calvin.

أما مارتن لوثر (1483 ـ 1546) فهو أسبقُهم جميعاً وإليه تنسب النحلة البروتستانتية أكثر مما تنسب إلى غيره. وقد ثار أول الأمر ضد صكوك الغفران وأعلن بطلانها وكتب في ذلك احتجاجاً علقه على باب الكنيسة (ومن ثم سميت نحلته بالبروتستانتية أي نحلة الاحتجاج أو الاعتراض). فأصدر البابا قراراً بحرمانه واعتباره كافراً زائغ العقيدة. فلم يأبه لوثر لهذا القرار بل عمد إلى الإنذار الذي أرسل إليه في هذا الصدد فحرقه في ميدان من أكبر ميادين المدينة في جمع حاشد من الناس. فجمع البابا سنة 1520 مجمعاً قرر محاكمته. فلم يذعن مارتن لوثر لهذا القرار ولّما حاول الإمبراطور في سنة 1529 أن ينفذ هذا القرار ثار أنصار لوثر واحتجوا على ذلك (ومن ثم سُمي أتباع

---

(1) انظر شرح هذه الكلمة في أوائل فقرة 7 من هذا الفصل.

(2) انظر شرح هذه الكلمة في أوائل فقرة 5 من هذا الفصل.

هذه النحلة بالبروتستانت أي المحتجين). وأخذ لوثر من ذلك الحين ينشر مبادئه المعارضة للكنيسة الكاثوليكية، والتي تكونت منها النحلة البروتستانتية. وأخذ الناس يدخلون في نحلته أفواجاً.

وأما زونجلي السويسري (1484 ـ 1531) فقد ظهر في العصر نفسه الذي فيه لوثر ودعا إلى كثير مما دعا إليه في شؤون الدين وثار على صكوك الغفران وغيرها من مفاسد الكنيسة الكاثوليكية وتبعه كذلك خلق كثير. ولكنه مات قتيلاً في أثناء صراع وقع بين أنصاره وأنصار الكنيسة الكاثوليكية. وكانت دعوته منفصلة عن دعوة لوثر وإن التقت معها في مبادئها.

وأما كلفن الفرنسي (..... ـ 1564) فقد قام بعد لوثر بالدعوة إلى البروتستانتية ونشر مبادئها وألف في ذلك بحوثاً ورسائل كثيرة نُشِرَ معظمها بعد فراره إلى جنيف بسويسرا ـ فإليه يرجع الفضل الأكبر في تنظيم البروتستانتية وتحرير مبادئها.

وقد انتشرت البروتستانتية في كثير من بلاد العالم ويعتنقها الآن معظم أهل ألمانيا والدانمرك وسويسرا وهولندا والسويد والنرويج وإنجلترا واسكتلندة وإيرلندة الشماليَّة والولايات المتحدة الأمريكية وأخذت الآن بفضل جمعيات التبشير البروتستانتية وعظيم نشاطها وواسع إمكانياتها المالية وإخلاص رجالها لمبادئها، تغزو كثيراً من معاقل الكاثوليكية والأرثوذكسية، وتنتشر في السودان الجنوبي وأواسط إفريقيا والصين واليابان.

هذا، ولا تختلف البروتستانتية عن النحل السابقة فيما يتعلق بجوهر العقيدة. فهي مثلها تؤمن بالتثليث وألوهية المسيح وبنوته لله وصلبه وقيامته ورفعه وحسابه للعالم يوم القيامة وبأنه صلب لتكفير الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم وعلقت بجميع نسله.. وما إلى ذلك من الأمور التي استقرت عليها العقيدة المسيحية والتي أشرنا إليها فيما سبق. وإنما تختلف البروتستانتية عن غيرها من النحل المسيحية بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية من أهمها ما يلي:

1 ـ تستمد البروتستانتية جميع الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والشرائع من الكتاب المقدس وحده، ولا تقيم لغيره وزناً في هذا الصدد إلا إذا كان تفسيراً معقولاً لما ورد في هذا الكتاب؛ على حين أن الكنائس الأخرى تستمد أحكامها من الكتاب المقدس

ومن قرارات المجامع وآراء البابوات ورؤساء الكنائس. ومن ثم سميت الكنائس البروتستانتية الكنائس الإنجيلية لاعتمادها على الإنجيل خاصة وعلى سائر أسفار الكتاب المقدس بوجه عام، بينما سميت الكنائس الأخرى الكنائس التقليدية لاعتمادها على التقاليد المستمدة من المجامع ومن آراء رؤساء الكنيسة وجعلها لهؤلاء الرؤساء سلطاناً في تقرير حقائق العقائد والعبادات والشرائع.

2 ـ لا تقر البروتستانتية البابوية أو الرياسة العامة في شؤون الدين. ولذلك ليس لكنائسهم رئيس عام كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما تجعل لكل كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها، وليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد والقيام على شؤون العبادات والواجبات الدينية الأخرى وعلى تعليم مسائل الدين. ولا يسمون رجال الدين قسساً كما هو الشأن في الكنائس الأخرى، وإنما يسمونهم «رعاة» Pasteurs لأنهم يرعون تابعي كنيستهم ويؤدون لهم ما يجب على الراعي أن يؤديه نحو رعيته من واجبات.

3 ـ ليس في البروتستانتية نظام الرهبنة، وهي لا تحرم الزواج على رجال الدين كما تحرمه الكاثوليكية على جميع الرهبان والقسس بمختلف درجاتهم[1].

4 ـ تنكر البروتستانتية كل الإنكار أن يكون لرجل الدين الحق في غفران الذنوب في حالة الاحتضار وغيرها، وإنما تجعل ذلك الحق لله وحده، فيقبل إن شاء توبة العاصي ويغفر له ما تقدم من ذنبه، بل أن أهم ما اتجهت البروتستانتية في نشأتها إلى القضاء عليه هو ما كانت تزعمه الكنيسة الكاثوليكية لرجالها من السلطان في محو الذنوب، وما تبع هذا الزعم من نظام صكوك الغفران كما تقدم بيان ذلك[2].

5 ـ تقرر البروتستانتية أن الغرض من أكل الخبز وشرب الخمر في العشاء الرباني هو أن يكون وسيلة رمزية لتذكر ما قام به المسيح في الماضي إذ قدم جسمه للصلب ودمه للإراقة لتخليص الإنسانية من الخطيئة الأزلية ولتذكر ما سيقوم به يوم القيامة إذ يدين الناس ويحاسبهم على ما كسبت أيديهم. وبذلك تنكر البروتستانتية كل الإنكار

---

(1) انظر في ذلك كتابنا «قصة الزواج والعزوبة في العالم».

(2) انظر في أول هذه الفقرة الأسباب التي دعت إلى قيام البروتستانتية.

ما تذهب إليه الكنائس الأخرى إذ تزعم أن ما تجريه على الخبز والخمر من طقوس يحولهما إلى أجزاء من جسم المسيح ومن دمه كما تقدم بيان ذلك[1].

6 ـ تنكر البروتستانتية إنكاراً باتاً جميع ما تقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم أم المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد[2]، وتعتبر ذلك خروجاً على أصول الدين.

7 ـ تحرم البروتستانتية ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة واتجاه المصلين لها بالسجود، معتمدة على تحريم التوراة لذلك وعلى أن شريعة موسى شريعة للمسيحيين إلا ما ورد نص صريح من المسيح بنسخه أو تعديله. فقد جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية، وهو من أهم الأسفار التشريعية في التوراة المزعومة: «لا تجعل لك تمثالاً منحوتاً يمثل شيئاً ما من ظواهر السماء من فوق أو مما في الأرض من أسفل أو مما في الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن، ولا تعبدهن، فإنني أنا إلهك الباقي إله غيور أعاقب الأولاد بظلم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع وأسبغ نعمتي على من يخلصون لي ويتبعون أوامري وعلى ذريتهم من بعدهم إلى ألف جيل»[3].

8 ـ تحرم البروتستانتية أن تقام الصلاة بلغة غير اللغة المفهومة للمتعبد، كما تفعل الكنائس الأخرى إذ تقيمها بلغة ميتة كاللاتينية والقبطية[4].

---

(1) انظر رقم 2 من فقرة 12 من هذا الفصل.

(2) انظر رقم 2 من فقرة 9 من هذا الفصل.

(3) فقرات 8 ـ 10 من الإصحاح الخامس من سفر التثنية.

(4) من أهم المراجع في الموضوع الذي درسناهُ في الفقرات الخمس الأخيرة من هذا الفصل (فقرات 9 ـ 13) البحث القيم الذي نشره صديقنا المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة تحت عنوان «محاضرات في النصرانية».